سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٢٩١)

الرطانة والراطنون

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١. باب ما جاء على فعالة مما فيه لغتان فعال وفعالة بفتح الفاء، وبكسرها

هي " **الرطانة والرطانة** "، و " الوقاية والوقاية "، و " الوكالة والوكالة "، ودليل بين " الدلالة والدلالة "، ومهرت الشيء " مهارة ومهارة "، و " الوصاية والوصاية "، و " الجنازة والجنازة "، و " الجراية والجراية "، و " البداوة والبداوة "، و " الحضارة والحضارة "، و " الولاية " من الموالاة، و " الولاية "، و " الوزارة والوزارة " والكسر أجود، و " الرضاعة والرضاعة "، و " الخلالة والخلالة " مصدر خليل. ويقال أيضا " الخلولة ". وقد نوت الناقة تنوي " نواية " ونواية " إذا سمنت، و " الجداية والجداية " الرشأ.." (١)

٢. "وأنت رجل صالح . قال أبو برقان : فقدمت الحيرة فرأيتها على ما وصف لي.

أخرجه أبو موسى وقال : الغمغمة : **الرطانة**.

٥٧١٤- (س) أبو بزة ، مولى عبد الله بن السائب ، جد المقرئين المكيين المشهورين . مختلف في اسمه.

روى أبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم ابن أبي بزة ، عن أبيه محمد ، عن أبيه القاسم عن أبيه أبي بزة قال : دخلت مع مولاي عبد الله بن السائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ورأسه ورجله.

رواه أبو بكر بن المقرىء عن أبي الشيخ.

أخرجه أبو موسى.

٥٧١٥) أبو البشر بن الحارث ، من بني عبد الدار ، هو الشاب الذي خطب سبيعة الأسلمية ، فحطت إليه . قاله أبو عبد الله بن وضاح.

رواه ابن الدباغ ، عن أبي محمد بن عتاب.

٥٧١٦- (س) أبو بشر السلمي.

أورده أبو بكر بن أبي علي ، وأبو مسعود.

روى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي بشر السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحب أن يفرج الله كربته ، ويعطيه سؤله ، فلينظر معسرا أو ليدع.

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة ص/٥٥٠

كذا قال ولعله أبو اليسر الأنصاري السلمي ، بفتح السين واللام ، لأن هذا المتن مشهور عنه .." (١)

٣. "٥٧٢٧- أبو برقان

س: أبو برقان من بني سعد بن بكر بن هوازن وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أورده جعفر في الصحابة.

وروى المدائني، عن عيسى بن يزيد، قال: دخل أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني سعد بن بكر، فقال: لقد جئت يا محمد وما فتى من قومك بأحب إليهم ولا أحسن فيهم ثناء منك، قال: ثم رأيتهم يتغمغمون.

قال: " يا ابن برقان، هل تعرف الحيرة؟ " قال: قلت: لا.

قال: " إن طالت حياة لتسمعنها يردها الوارد من غير خفير ولا مزاد ".

قال: قلت: ما أدري ما تقول؟ ما جئتك من ثنية كذا وكذا إلا بخفير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لآخذن بيدك يوم القيامة، ولأذكرنك " فكان عثمان يقول: يا أبا برقان، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدك إلا وأنت رجل صالح، قال أبو برقان: فقدمت الحيرة فرأيتها على ما وصف لي.

أخرجه أبو موسى، وقال: الغمغمة: **الرطانة**.." (٢)

٤. "أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده عن عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، أخبرنا يزيد ابن هارون، أخبرنا سليمان التميمي، عن سيار أبي المنهال، عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الغداة بالستين إلى المائة [١] .

ومات بالبصرة سنة ستين قبل موت معاوية، وقيل: مات سنة أربع وستين. أخرجه أبو نعيم، وأبو عمر، وأبو موسى.

٥٧٢٠- أبو برقان

(س) أبو برقان من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أورده جعفر في الصحابة.

---

(١) أسد الغابة (ط التراث) ٣٦/٦

(٢) أسد الغابة ط العلمية ٢٩/٦

وروى المدائني، عن عيسى بن يزيد قال: دخل أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني سعد بن بكر فقال: لقد جئت يا محمد وما فتى من قومك بأحب إليهم ولا أحسن فيهم ثناء منك قال: ثم رأيتهم يتغمغمون. قال: يا ابن برقان، هل تعرف الحيرة؟ قال قلت: لا. قال:

إن طالت بك حياة لتسمعنها يردها الوارد من غير حفير ولا مزاد [٢] . قال: قلت: ما أدري ما تقول؟ ما جئتك من ثنية كذا وكذا إلا بخفير! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لآخذن بيدك يوم القيامة، ولأذكرنك. فكان عثمان يقول: يا أبا برقان، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدك إلا وأنت رجل صالح. قال أبو برقان: فقدمت الحيرة فرأيتها على ما وصف لي. أخرجه أبو موسى وقال: الغمغمة: **الرطانة** [٣] .

٥٧٢١- أبو بزة

(س) أبو بزة، مولى عبد الله بن السائب، جد المقرءين المكيين المشهورين. مختلف في اسمه.

روى أبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، عن أبيه محمد. عن أبيه القاسم عن أبيه أبي بزة قال: دخلت مع مولاي عبد الله بن السائب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ورأسه ورجله.

رواه أبو بكر بن المقرئ عن أبي الشيخ.

أخرجه أبو موسى.

---

[١] مسند الإمام أحمد: ٤/ ٤١٩.

[٢] المزاد: جمع مزادة، وهي التي يحمل فيها الماء.

[٣] **الرطانة-** بفتح الراء وكسرها-: كلام لا يفهمه الجمهور، وإنما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة.." (١)

٥. "٧٤٢٣- أم خالد بنت بنت خالد بن سعيد

(ب د ع) أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشية الأموية، اسمها أمة [١] .

وأمها همينة بنت خلف الخزاعية أسلمت أيضا، وقد ذكرناها.

أخبرنا أبو بكر بن عمر بن العويس وغير واحد بإسنادهم عن محمد بن إسماعيل: حدثنا حبان، أخبرنا

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ٣٢/٥

بن المبارك، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، عن أمه أم خالد قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي، وعلي قميص أصفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سنة سنة- قال عبد الله: وهي بالحبشية: حسنة- فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعها [٢] . قال: وحدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه سعيد [٣] بن فلان [٤] بن سعيد بن العاص، عن أم خالد بنت خالد قالت: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة [٥] سوداء صغيرة فقال: من ترون أكسو هذه؟ فسكت القوم، فقال: ائتوني بأم خالد. فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: أبلي وأخلقي وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد، هذا سناه. وسناه. بالحبشية [٦] . حسنة. أخرجها الثلاثة.

٧٤٢٤- أم خالد بنت يعيش

أم خالد بنت يعيش بن قيس بن عمرو الأنصارية، من بني مالك. بايعت النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ابن حبيب [٧] .

٧٤٢٥- أم خلاد

أم خلاد. هي التي سالت عن ابنها وقد قتل. وقد تقدمت القصة في خلاد الأنصاري: في «حرف الخاء [٨] » .

٧٤٢٦- أم خناس

أم خناس- قال ابن ماكولا: «وأما خناس، أوله خاء معجمة، وبعدها نون خفيفة- وذكر خناسا السكوني- ثم قال: أم خناس، امرأة مسعود، لها صحبة»

---

[١] انظر الترجمة ٦٧٢٤: ٧/ ٢٤.

[٢] البخاري، كتاب الجهاد، باب «من تكلم بالفارسية **والرطانة**» : ٤/ ٩٠. وكتاب الأدب، باب «من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازجها» : ٨/ ٨.

[٣] في المطبوعة والمصورة: «عن أبيه، عن سعيد» . والمثبت عن صحيح البخاري.

[٤] في البخاري: «عن فلان هو: عمرو بن سعيد» . وانظر أيضا كتاب اللباس، باب «ما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا ٧/ ١٩٧.

[٥] الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم.

[٦] في البخاري: «حسن» : انظر كتاب اللباس، باب «الخميصة السوداء» : ٧/ ١٩١.

[٧] لعلها «أم خالد بنت خالد بن يعيش بن قيس» ، المترجم لها في طبقات ابن سعد: ٨/ ٣٣٣.

[٨] انظر ترجمة «خلاد الأنصاري» : ٢/ ١٤٠.." (١)

٦. "يوحي إليها بإنقاض ونقنقة

كما تراطن في أفدانها الروم

حدثني أبو بكر بن دريد، رحمه الله، قال: قال أعرابي: والله ما أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم والمقرقم: البطيء الشباب، أنشد أبو عبيد:

أشكو إلى الله عيالا دردقا ... مقرقمين وعجوزا شملقا

بالشين معجمة وهو أحد ما أخذ عليه، وروى ابن الأعرابي سملقا بالسين غير المعجمة وهو الصحيح، والدردق: الصغار، والرقش: جمع أرقش ورقشاء وهي المنقطة، ويقال: رقشت الكتاب رقشا ورقشته إذا كتبته ونقطته، قال طرفة:

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه

قال مرقش الأكبر، واسمه ربيعة:

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

وبهذا البيت سمى مرقشا، واللها: جمع لهاة، مثل قطاة وقطا، وقد مده الشاعر للضرورة وهو ردىء جدا ليس كقصر الممدود،

أنشدنا الفراء:

يا لك من تمر ومن شيشاء ... ينشب في المسعل واللهاء

والشيشاء: الشيص.

والأجرد: القصير الشعر، وهو مدح في الخيل، قال الشاعر:

وأجرد من فحول الخيل طرف ... كأن على شواكله دهانا

والسيد: الذئب، والعرب تشبه به الفرس، قال امرؤ القيس.

عليه كسيد الردهة المتأوب والردهة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء، وجمعها رداة، والوقيعة: مثله،

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ٣٢٥/٦

وكذلك الوقط والوجد والقلت.

والعبل: الغليظ، يقال: فرس عبل القوائم وعبل المحزم أي غليظ المحزم، وهو مدح في الخيل، قال امرؤ القيس:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال." (١)

٧. "الطريق» (١) ويقال: قد أصوى القوم إذا وقعوا في الصوى، وقد استقصينا هذا الحرف في كتابنا المقصور والممدود. وأبن: رجعن، والآئب: الراجع، والإياب: الرجوع.

والمجاجات: جمع مجاجة وهي ما مجته بأفواهها. والسلى: الجلد الرقيق الذي يخرج على الولد. ويراطن: يعجمن، والتراطن: ما لا يفهم من كلام العجم، قال علقمة بن عبدة: [البسيط]

يوحى إليها بإنقاض (٢) ونقنقة ... كما تراطن في أفدانها الروم

حدثني أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: قال أعرابي (٣): والله ما أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم. والمقرقم: البطئ الشباب، أنشد أبو عبيد (٤):

[الرجز]

أشكو إلى الله عيالا دردقا ... مقرقمين وعجوزا شملقا

بالشين معجمة وهو أحد ما أخذ عليه. وروى ابن الأعرابي سملقا بالسين غير المعجمة وهو الصحيح.

والدردق: الصغار. والرقش: جمع أرقش ورقشاء وهي المنقطة، ويقال:

رقشت الكتاب رقشا ورقشته إذا كتبته ونقطته، قال طرفة: [المديد]

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه

قال مرقش الأكبر. واسمه ربيعة: [السريع]

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

وبهذا البيت سمي مرقشا. واللها: جمع لهاة، مثل قطاة وقطا، وقد مده الشاعر للضرورة وهو ردىء جدا ليس كقصر الممدود، أنشدنا الفراء [الرجز]:

يا لك من تمر ومن شيشاء ... ينشب في المسعل واللهاء

والشيشاء: الشيص. والأجرد: القصير الشعر، وهو مدح في الخيل، قال الشاعر:

---

(١) أمالي القالي   أبو علي القالي ٢/٢٤٦

وأجرد من فحول الخيل طرف ... كأن على شواكله دهانا

والسيد: الذئب، والعرب تشبه به الفرس، قال امرؤ القيس: [الطويل]

عليه كسيد الردهة المتأوب

والردهة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء، وجمعها رداه، والوقيعة: مثله، وكذلك الوقط والوجذ والقلت.

والعبل: الغليظ، يقال: فرس عبل القوائم وعبل المحزم أي: غليظ المحزم، وهو مدح في الخيل، قال امرؤ القيس: [الطويل]

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

---

(١) في «اللسان»: «أراد: أن للإسلام طرائق وأعلاما يهتدى بها» اهـ

(٢) الانقاض: التصويت. ط

(٣) انظر: «التنبيه» [١٢٠].

(٤) انظر: «التنبيه» [١٢١].." (١)

٨. "أنا البازي المطل على نمير ... أتيح من السماء له انصبابا

وأراد النميري قول الطرماح: [الطويل]

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

* * * [١٢٠] قال أبو علي رحمه الله [١٥٨٢]: قال أعرابي: والله ما أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم.

هذا وإن لم يكن فيه سهو فإنه أورد كلاما ناقصا غير منسوب ولا مفسر، وهو أحوج كلام إلى التفسير، فيعلم مراده بقوله: إنه لا يحسن **الرطانة**، وبانتفائه من السباحة، ومذهبه في قرقمة الكرم له.

وهذا الكلام لأبي الذيال شويش الأعرابي العدوي، قال: أنا ابن التاريخ، أنا والله العربي المحض، لا أرقع الجربان، ولا ألبس التبان، ولا أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم.

قوله: أنا ابن التاريخ: يعني أنه ولد سنة الهجرة. ويريد بجملة قوله: إنه أعرابي بدوي محض، من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار التي تكون على الأرياف والأنهار، فهم يتعلمون فيها

---

(١) أمالي القالي ط_أخرى أبو علي القالي ص/٤٩٠

السباحة وإنه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم، والأعرابي إذا قال: قدمت الريف، فإنما يريد الحضر، قال الأصمعي رحمه الله: قيل لذي الرمة: من أين عرفت الميم لولا صدق من نسبك إلى تعليم أولاد العرب في أكتاف الإبل؟ قال: والله ما عرفت الميم! إلا أنى قدمت من البادية إلى الريف فرأيت الصبيان وهم يحوزون بالفجرم في الأوق فقال غلام منهم: قد أزقتم هذه الأوقة فصيرتموها كالميم، فوضع منجمه في الأوقة فنجنجه فأفهقها، فعلمت أن الميم شيء ضيق، فشبهت به عين ناقتي وقد اسلهمت وأعيت. وأما قوله: وما قرقمني إلا الكرم، فإنه يعني: أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا في أهله، فجاء ولده ضاويا. ومنه الحديث: «اغتربوا لا تضووا» (١) أي: انكحوا في الغرائب، وقال الشاعر: [الطويل]

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

وقال آخر: [الرجز]

إن بلالا لم تشنه أمه ... لم يتناسب خاله وعمه

---

(١) أورد الغزالي في «أحياء» علوم الدين» (٢/ ٤١) «ألا تكون من القرابة القريبة، فإن ذلك يقلل الشهوة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا» أي: نحيفا وعلق على ذلك العراقي بقوله:

حديث «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا» قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا معتمدا. قلت: إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب «قد أضويتم فانكحوا في النوابغ» رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث»، وقال: معناه تزوجوا الغرائب قال: ويقال: اغربوا لا تضووا»..." (١)

٩. "فقتل منهم بشر كثير.

ومن بني عدي: أبو نعامة عمرو بن عيسى، كان له قدر وصلاح، وفيه يقول الفرزدق:

أظن ابن عيسى لاقيا مثل وقعتي ... بعمرو بن عفرا وهي قاصمة الظهر

تقوفت [١] مال ابني حجين وما هما ... كذي حطم فان ولا ضرع غمر [٢]

وكان الفرزدق سأل ابني حجين من بني عدي جائزة، فأشار عليهما عمرو بن عيسى أن يفتلا.

---

(١) أمالي القالي ط_أخرى أبو علي القالي ص/٨٣٥

ومن بني عدي أبو قتادة كان له فضل وكان يقول: اللهم ارزقني شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها تختلني فيها عن نفسي. فغزا سجستان مع عبد الرحمن بن سمرة فأتاه العدو وهو نائم فذبحوه.

ومنهم العلاء بن زياد وكان من عباد الناس ولا عقب له.

ومنهم شويس العدوي الذي يقول: والله لله أحب إلى قلبي من لحم جزور يهيأ في عشية بمرية، وما أحب الرطانة، ولا انقاض العسرة وما ترقمني إلا الكرم.

ومنهم أبو فرعون الذي كان يسأل بالبصرة، وكان شاعرا، وهو القائل:

أبصرت في النوم بختي ... في سوء زي وسمت

أعمى أصم كئيبا ... أبا بنين وبنت

فقلت أخسست رزقي ... فقال رزقك في إستي

[١] تقوف المال: حجره على أصحابه.

[٢] ديوان الفرزدق: ج ١ ص ٣٠٠.." (١)

١٠. "سيبويه الأصفهاني، وسيبويه المغربي، وسيبويه المصري.

ثم انتقل إلى شيخهم سيبويه البصري إمام علماء البصرة، وشيخ النحاة، وأول من لقب بهذا اللقب، فتحدث عن مولده ومكانه وتلاميذه والمناظرة التي كانت بينه وبين الكسائي.

سافر رحمه الله إلى فرنسا، ونال منها أرفع درجاتها العلمية، وعاش فيها عشر سنوات، كان من المظنون أن تغير من عاداته ومن صلاته ومن مظهره، وزيه، ولكنه عاد إلى مصر حريصا على أخلاقه الإسلامية الرفيعة، وكلفا بعاداته الطيبة التي ورثها من مصر المسلمة العريقة، ومشوقا إلى زيه العربي الذي يميز علماء الأزهر، فلم نره إلا معمما وفي جبة وقفطان، وقد يستعيض عن الجبة المعطف السابغ الذي يسمى كاكولة.

ولم يكن يتعالم بمعرفته الفرنسية وبإجادته لها، فيتكلف الرطانة بها حيث لا مسوغ لرطانة، ويتصيد المفردات منها ليحشرها في حديثه حشرا حيث تسعفه الألفاظ العربية. وليس من عيب على العالم

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢٩٥/١١

باللغات أن يستشهد بها، وأن يستعين إذا ما مست حاجته أو دعت مناسبة أو كانت ثمة مقارنة واستشهاد.." (١)

١١. "المجلد الثاني

الخطابة في العصر الحاضر

...

الخطابة في العصر الحاضر:

كانت الخطابة في العصر السابق ضعيفة مخلة يلتزم فيها السجع، ولا تعتمد على الارتجال بل تتلى في ورقة أو ديوان، ثم هي مقصورة على الجمعة والعيدين وغيرهما من المواسم الدينية، وقد ظل هذا طابعها عصر محمد علي أيضا لم تجد في المواقف الرسمية أو غيرها احتفالا بشأنها ولم ينهض الأمير أو رجال الدولة بها، فالدولة إذ ذاك تركية النشأة.

وإذا كانت الخطابة تعتمد على الملكة ووفرة الأسلوب، وروعة البيان فقد عدم كل ذلك أوائل هذا العصر حتى أن الجيش الذي تنفق فيه سوق الخطابة لتهيئة النفوس وإرهاف الحس، وإثارة الخواطر والذي طالما تحركت به الألسن وأذكيت المواهب لم يقم على قيادته، وتعليم كتائبه إلا نفر من "الطليان" وغيرهم من ذوي العجمة **والرطانة** كما كان تلامذة مدرسة الحربية إذ ذاك من أبناء المماليك وهم غرباء عن العربية، وقد بقيت روح الجيش وصبغته تركية أو قريبة منها إلى عهد قريب حين أعلنت مصر استقلالها.

الخطابة من عهد إسماعيل:

ازدهرت الخطابة في عصر "إسماعيل" حين شاعت الحرية وذاعت الصحف، وأنشئت الجمعيات والأندية السياسية والأدبية واستيقظت الأفكار، وهبت الأمة تطالب بحقوقها وتذود عن مجدها، وكان الأثر أبلغ الأثر في إنهاض الخطابة للحكم الشورى، وما استلزمه من المجالس النيابية التي تعتمد على إثارة الرأي والذود عن ومجاهدة الخصم بالحجة والبيان ولقيام الأحزاب وتناحرها، واعتمادها في نشر دعوتها ومناهضة منافسيها على الخطابة التي هي أداة الإقناع، ووسيلة البلاغ للرأي العام.

وقد قدم إلى مصر الزعيم "السيد جمال الدين الأفغاني"، فكان." (٢)

---

(١) الأزهر في ألف عام (١٤٢٧) ٣٥٣/١

(٢) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة محمد عبد العزيز النجار ٣/٢

١٢. "البلوي

(٠٠٠ - ٥٥٩ هـ = ٠٠٠ - ١١٦٤ م)

محمد بن أحمد بن عامر البلوي السالمي الطرطوشي، أبو عامر: من أهل العلم بالتأريخ والأدب والطب. أندلسي، أصله من مدينة سالم (Medinaceli) كان من سكان " طرطوشة " وانتقل إلى " مرسية " ومات في إشبيلية. له كتب، منها " درر القلائد وغرر الفوائد - خ " في الأدب والتاريخ، و " الشفاء " في الطب، و " أنموذج العلوم - خ " وكتاب في " اللغة " وآخر في " التشبيهات " (١)

.

اللخمي

(٠٠٠ - ٥٧٧ هـ = ٠٠٠ - ١١٨١ م)

محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي، أبو عبد الله: عالم بالأدب. أندلسي. سكن سبتة. من كتبه " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - خ " و " الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل وإصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وفي شرحها للأعلم من الوهم والخلل - خ " في خزانة عابدين بدمشق، و " شرح الفصيح " لثعلب، و " شرح مقصورة ابن دريد - خ " و " الرد على الزبيدي في لحن العوام - خ " وغير ذلك. قال ابن الأبار: وجدت الاخذعنه والسماع منه في سنة ٥٥٧ هـ توفي بإشبيلية (٢) .

---

(١) الإعلام، لابن قاضي شهبة - خ. والتكملة لابن الأبار ١: ٢١٣ وبغية الوعاة ١٢ و ١Brock :٦٥٨) ٤٩٩ S (١ :٩١٤. والإعلان بالتوبيخ ١٢٣.

(٢) التكملة لابن الأبار ١: ٣٧٠ وبغية الوعاة ١٩ والجمانة في إزالة **الرطانة**: توطئة الناشر. وانظر: ٣٧٥Brock) ٣٠٨ S (١ :٥٤١. وشرع الظاهرية ٣٠٠ - ٣٠١ وتعليقات عبيد وعبد العزيز الأهواني. في مجلة معهد المخطوطات ٣: ١٢٩ نقلا عن الديل والتكملة - خ. لابن عبد الملك المراكشي.." (١)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣١٨/٥

١٣. "ألا ترى أن عبادا صحيح التبير في حال انهزامه، وقد ترك القتال عن غير جبن، وترك القتال كي لا يقتل ضياعا، وعباد فارس الناس غير مدافع.

وإياه يعني الشاعر حيث يقول:

من مبلغ عني نهيك بن محرز ... فدونك عبادا أخا الحبطات

فدونكه يستهزم الجيش باسمه ... إذا خاضت الفرسان في الغمرات

والشاهد من الشعر على تقديم عباد على الفرسان كثير موجود.

ويكون الأعرابي شختا مهزولا [١] ، ومقرقما ضئيلا [٢] ، فيجعل ذلك دليلا على كرم أعراقه، وشرف ولادته.

قال الأصمعي: قلت لغلام أعرابي: مالي أراك ضعيفا نحيفا، وصغير الجسم قليلا مهزولا؟ قال: قرقمني العز [٣] .

وأنشدوا قول الآخر:

قد علمت أنا أتاويان ... من كرم الأعراق ضاويان [٤]

وأنشدوا:

قرقمه العز وأضواه الكرم

---

[١] الشخت: الدقيق من كل شيء. وقيده بعضهم بأنه الدقيق من الأصل لا من هزال.

[٢] المقرقم: البطىء الشباب، الذي لا يشب.

[٣] في البيان ٢: ٩٧ قول أبي الذيال شويس: «أنا والله العربي، لا أرقع الجربان، ولا ألبس التبان، ولا أحسن **الرطانة**، ولأنا أرسى من حجر. وما قرقمني إلا الكرم» وانظر ما أثبت في حواشيه من تعليق.

[٤] الأتاوي، بالفتح: الغريب لا يدرى من أين أتى. وأصله في السيل، وقيل أصله في الرجل. والضاوي: النحيف المهزول.." (١)

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٤٣

١٤. "مساجد البصرة

حكى أحمد بن أبي يعقوب صاحب كتاب المسالك والممالك أنه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد.

نهر الأهواز

«قال الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (الكتبي) الوراق المتوفى سنة ٧١٨ في كتابه (مناهج الفكر ومباهج العبر) ذكر ابن أبي يعقوب أن ماءه. (نهر الأهواز «١») يأتي من واديين أحدهما منبعث (ينبعث) من أصبهان ويجري إلى أن يمر بشاذروان تستر وعسكر مكرم وجنديسابور، ولها عليه جسر طوله خمسمائة وثلاث وستون خطوة وتسمى (ويسمى) المسرقان (بضم الميم وبالسين المهملة والقاف) والآخر ينبعث من همذان ويجري إلى السوس يسمى الهندوان.

ثم يجريان إلى مناذر الكبرى وعندها يصب أحدهما في الآخر ويصيران نهرا واحدا يسمى دجيل الأهواز. ثم يجري إلى الأهواز ثم يمر حتى يصب في بحر فارس عند حصن مهدي، وهو ينقطع في الصيف ويصير موضع جريته طريقا تسلكه القوافل (ولأهل هذا السقع لسان خاص بهم يشبه **الرطانة** إلا أن الغالب عليهم اللغة الفارسية) .

شيراز

«٢» مدينة فارس العظمى وهي مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة، ولها سعة حتى أنه." (١)

١٥. "([١] ٣٢٣. .

، ٣٦٨،.)

حكى احمد بن ابى () يعقوب صاحب كتاب: (٣٠.

المسالك والممالك انه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد *

.، (٧١٨) الكتبى مناهج الفكر ذكر ابن ابى يعقوب ان ماءه (نهر الاهواز) ياتى من:. ٩٤.

واديين احدهما منبعث (ينبعث. ١) من اصبهان ويجرى الى ان يمر بشاذروان تستر وعسكر مكرم وجندى سابور ولها عليه جسر طوله خمسمائة وثلاث وستون خطوة وتسمى (ويسمى. ١) المسرقان [بضم الميم وبالسين المهملة والقاف] والآخر ينبعث من همذان ويجرى الى السوس يسمى الهندوان ثم يجريان الى مناذر الكبرى وعندها يصب احدهما فى الآخر ويصيران نهرا واحدا يسمى دجيل الاهواز

(١) البلدان لليعقوبي اليعقوبي ص/٢٠٣

ثم يجرى الى الاهواز ثم يمر حتى يصب فى بحر فارس عند حصن مهدى وهو ينقطع فى الصيف ويصير موضع جريته طريقا تسلكه القوافل [ولاهل هذا السقع لسان خاص بهم يشبه **الرطانة** الا ان الغالب عليهم اللغة الفارسية] *

مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة حتى انه ليس فيها منزل الا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب اهلها من عيون تجرى فى انهار تأتى من جبال يسقط عليها الثلج *." (١)

١٦. "الأحمر خلال التلال إلى نهر النيل. وليس من اليسير أن نحدد تأريخا لإنشاء محطات القوافل التي اتخذها الرومان في الصحراء الشرقية، ولعله من العسير أيضا أن نعرف مدة بقائها، ذلك أن معرفة متى تركت الحاميات الرومانية هذه المحطات، وغادرت الصحراء الشرقية، هو من الصعوبة بمكان. ولكن ربما كان القرن الخامس الميلادي تأريخا لجلاء الرومان عن هذه المحطات ومما يلفت النظر أن نشاط الأنباط التجاري في مصر، كما تدلنا النقوش، كان قد بلغ أشده بعد زوال مملكتهم سنة١٠٦م. وليس ببعيد أن يكون القضاء على مملكتهم من العوامل التي دفعتهم إلى بذل أقصى الجهد وتركيز اهتمامهم في توسيع نشاطهم التجاري في بلاد إفريقية بوجه عام، وفي مصر بنوع خاص. ولا ريب في أن مهارة الأنباط في الرحلة والتجوال قد اكسبهم نفوذا وسلطانا في هذه البلاد. بل تعدى هذا النفوذ إلى أوربا، فقد استطاع أحدهم أن يصبح امبراطورا على روما، وهو فيليب العربي٢٤٤ - ٢٤٩م وقد عثر المنقبون على بعض نقوش نبطية في ايطاليا وفي ضوء هذا، نستيطع أن نزعم أن الجاليات النبطية، لم يقتصر نشاطها على سيناء، والصحراء الشرقية وحدها، بل لابد أنه كان منهم جماعات سكنوا على ضفاف النيل، وفي الصحراء الغربية، وفي شمالي إفريقية، ويمكن أن نستأنس في هذا بما ذكره أبو عبيد البكري الأندلسي ت٤٨٧هـ١٠٩٤م عند الكلام عن " أجدابية "، بلد بين برقة وطرابلس الغرب، قال وأهلها ذوو يسار أكثرهم أنباط. على أن تأريخ الأنباط ومملكتهم – على ماله أهمية في تأريخ العرب القديم – لم يكن معروفا لدى مؤرخي العرب على وجهه الصحيح، بل إنهم، حين يذكرون الأنباط، في أعلب الأحيان، إنما يقصدون هذه البقايا المتناثرة من الصناع والأجراء الذين عاشوا في العصور الإسلامية، في الشام والعراق وغيرهما، وفي العراق بنوع خاص. وقد أخذ مدلول كلمة " نبطي " عندهم معنى لا

(١) البلدان لليعقوبي ط_أخرى اليعقوبي ص/١٣١

يخلو من الذم، ويبدو من خلال حديثهم عن النبط أنهم جنس يختلف عن العرب، يتكلمون لغة فاسدة تشبه **الرطانة**. ولكن النبط، في حقيقة الأمر، كما سبق أن أشرنا، عرب باتفاق العلماء، ورد من اسمائهم: حارثة ومالك وجذيمة ووائل وقصي وعدي وعميرة وكعب ومعن وسعد ووهب الله." (١)

١٧. "تأريخ الأنباط ومملكتهم – على ماله أهمية في تأريخ العرب القديم – لم يكن معروفا لدى مؤرخي العرب على وجهه الصحيح، بل إنهم، حين يذكرون الأنباط، في أعلب الأحيان، إنما يقصدون هذه البقايا المتناثرة من الصناع والأجراء الذين عاشوا في العصور الإسلامية، في الشام والعراق وغيرهما، وفي العراق بنوع خاص. وقد أخذ مدلول كلمة " نبطي " عندهم معنى لا يخلو من الذم، ويبدو من خلال حديثهم عن النبط أنهم جنس يختلف عن العرب، يتكلمون لغة فاسدة تشبه **الرطانة**. ولكن النبط، في حقيقة الأمر، كما سبق أن أشرنا، عرب باتفاق العلماء، ورد من اسمائهم: حارثة ومالك وجذيمة ووائل وقصي وعدي وعميرة وكعب ومعن وسعد ووهب الله وأويس وهاشم وذؤيب، وهي اسماء عربية اصيلة كما لا يخفى. وقد انبعثوا من البادية، وجابت قوافلهم وإبلهم صحارى آسيا وإفريقية، وتكلموا لغة سامية، هي أحدى شقائق اللغة العربية الفصحى، وشاركوا العرب في جاهليتهم في عبادة بعض الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز، مثل ذي الشرى واللات والعزى ووصفهم بعض المؤرخين القدامى الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي بأنهم عرب. ووصف الرومان الحاكم النبطي " فيليب " الذي حكم روما سنة ٢٤٤م بأنه عربي، " لإنه كان عربي المولد وكان قد نشأ وترعرع في بصرى، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه وأصبحت له مكانة ". تأريخ الأنباط ومملكتهم – على ماله أهمية في تأريخ العرب القديم – لم يكن معروفا لدى مؤرخي العرب على وجهه الصحيح، بل إنهم، حين يذكرون الأنباط، في أعلب الأحيان، إنما يقصدون هذه البقايا المتناثرة من الصناع والأجراء الذين عاشوا في العصور الإسلامية، في الشام والعراق وغيرهما، وفي العراق بنوع خاص. وقد أخذ مدلول كلمة " نبطي " عندهم معنى لا يخلو من الذم، ويبدو من خلال حديثهم عن النبط أنهم جنس يختلف عن العرب، يتكلمون لغة فاسدة تشبه **الرطانة**. ولكن النبط، في حقيقة الأمر، كما سبق أن أشرنا، عرب باتفاق العلماء، ورد من اسمائهم: حارثة ومالك وجذيمة ووائل وقصي وعدي وعميرة وكعب ومعن وسعد

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب   المقريزي /

ووهب الله وأويس وهاشم وذؤيب، وهي اسماء عربية اصيلة كما لا يخفى. وقد انبعثوا من البادية، وجابت قوافلهم وإبلهم صحارى آسيا." (١)

١٨. "أبو اسحق قال: قال حذيفة: كن في الفتنة كإبن لبون، لا ظهر فيركب، ولا لبن فيحلب.

وقال الشاعر وليس هذا الباب في الخبر الذي قبل هذا:

ألم تر أن الناب تحلب علبة ... ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر «١»

عتبة بن هارون قال: قلت لرؤبة: كيف خلفت ما وراءك؟ قال: التراب يابس، والمرعى عابس.

وقال معاوية لعبد الله بن عباس: إني لأعلم إنك واعظ نفسه، ولكن المصدور إذا لم ينفث جوي.

وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه؟ فقال: «لا بد للمصدور من أن ينفث» .

قال أبو الديال شويس: «أنا والله العربي، لا أرقع الجربان، ولا البس التبان، ولا أحسن الرطانة، ولأنا أرسى من حجر، وما قرقمني إلا الكرم» .

أبو الحسن وغيره قال: قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وهو بالبخراء من أرض حمص: يا أمير المؤمنين، إنك لتستنطقني بالأنس بك، وأكف عن ذلك بالهيبة لك، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك، أفأسكت مصيعا، أم أقول مشفقا؟ قال: كل ذلك مقبول منك، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه، وتعود فتقول. قال: فقتل بعد أيام.

وكان أيوب السختياني يقول: لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف.

وقال بعضهم: كنت أجالس ابن صعير في النسب، فجلست إليه يوما فسألته عن شيء من الفقه، فقال: ألك بهذا من حاجة؟ عليك بذاك- وأشار." (٢)

١٩. " وقال مسلمة ثلاثة لا أعذرهم رجل أحفى شعره ثم اعفاه ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ورجل كان عنده سراري فتزوج حره

٢٠. وقال ابو اسحق قال حذيفة كن في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب وقال الشاعر – ليس هذا الباب في الخبر الذي قبل هذا

٢١. (ألم تر أن الناب تحلب علبة ... ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر)

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب المقريزي /

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٢/٦٦

٢٢. وقال عتبة بن هرون قلت لرؤبة كيف خلفت ما وراءك قال التراب يابس والمرعى عابس

٢٣. وقال معاوية بن أبي سفيان لابن عباس اني لا اعلم انك واعظ نفسه ولكن المصدور اذا لم ينفث جوي

٢٤. وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه قال لا بد للمصدور من ان ينفث

٢٥. قال ابو الذيال شويس انا والله العربي لا ارفع الجربان وألبس التبان ولا احسن الرطانة ولأنا أرسى من حجر وما قرقمني الا الكرم

٢٦. وقال ابو الحسن وغيره قال عمرو بن عتبة بن ابي سفيان للوليد بن يزيد ابن عبدالملك وهو بالنجراء من ارض حمص يا أمير المؤمنين انك تستنطقني بالأنس بك وأكف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك افأسكت مطيعا ام اقول مشفقا قال كل ذلك مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام

٢٧. وكان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف

٢٨. قال بعضهم كنت أجالس ابن صغير في النسب فجلست اليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال ألك بهذا حاجة عليك بذلك وأشار بذلك الى سعيد بن المسيب فجلست اليه لا اظن ان عالما غيره ثم تحولت الى عروة ففتقت به ثبج بحر قال وقلت لعثمان البري دلني على باب الفقه قال اسمع الاختلاف

٢٩. وقيل لاعرابي عند من تحب ان يكون طعامك قال عند أم صبي راضع او ابن سبيل شاسع او كبير جائع او ذي رحم قاطع ." (١)

٣٠. "وألبس التبان ولا احسن الرطانة ولأنا أرسى من حجر وما قرقمني الا الكرم

وقال ابو الحسن وغيره قال عمرو بن عتبة بن ابي سفيان للوليد بن يزيد ابن عبدالملك وهو بالنجراء من ارض حمص يا أمير المؤمنين انك تستنطقني بالأنس بك وأكف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك افأسكت مطيعا ام اقول مشفقا قال كل ذلك مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام

---

(١) البيان والتبيين – دار صعب الجاحظ ص/٢٦٢

وكان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف

قال بعضهم كنت أجالس ابن صغير في النسب فجلست اليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال ألك بهذا حاجة عليك بذلك وأشار بذلك الى سعيد بن المسيب فجلست اليه لا اظن ان عالما غيره ثم تحولت الى عروة ففتقت به ثبج بحر قال وقلت لعثمان البري دلني على باب الفقه قال اسمع الاختلاف@." (١)

٣١. "وألبس التبان ولا احسن الرطانة ولأنا أرسى من حجر وما قرقمني الا الكرم

وقال ابو الحسن وغيره قال عمرو بن عتبة بن ابي سفيان للوليد بن يزيد ابن عبدالملك وهو بالنجراء من ارض حمص يا أمير المؤمنين انك تستنطقني بالأنس بك وأكف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك افأسكت مطيعا ام اقول مشفقا قال كل ذلك مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام

وكان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف

قال بعضهم كنت أجالس ابن صغير في النسب فجلست اليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال ألك بهذا حاجة عليك بذلك وأشار بذلك الى سعيد بن المسيب فجلست اليه لا اظن ان عالما غيره ثم تحولت الى عروة ففتقت به ثبج بحر قال وقلت لعثمان البري دلني على باب الفقه قال اسمع
الاختلاف@." (٢)

٣٢. "وأراد النميري قول سالم بن دارة:

لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

ولم تزل فزارة تهجى بغشيان الإبل؛ قال راجز جاهلي:

إن بني فزارة بن ذبيان ... قد طرقت ناقتهم بإنسان

وقال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة:

أوليت العراق ورافديه ... فزاريا أحذ يد القميص

ولم يك قبلها راعي مخاض ... ليأمنه على وركي قلوص

واجتمع الشعراء يوما على باب أمير من امراء العراق ومر عليهم إنسان يحمل بازيا، فقال رجل من

---

(١) البيان والتبيين – ط الخانجي الجاحظ ٩٨/٢

(٢) البيان والتبيين ط- أخرى الجاحظ ٩٨/٢

بني تميم لرجل من بني نمير: انظر، ما أحسن هذا البازي! فقال له النميري: نعم! وهو يصيد القطا؛ أراد التميمي قول جرير:

أنا البازي المطل على نمير ... أتيح من السماء له انصبابا

وأراد النميري قل الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

* * * وفي " ص ٢٤٤ س ٢ " قال أبو علي – رحمه الله –: قال أعرابي: والله ما أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة؛ وما قرقمني إلا الكرم.." (١)

٣٣. "هذا وإن لم يكن فيه سهو، فإنه أورد كلاما ناقصا غير منسوب ولا مفسر، وهو أحوج كلام إلى التفسير؛ فيعلم مراده بقوله: إنه لا يحسن **الرطانة**، وبإنتفائه من السباحة، ومذهبه في قرقمة الكرم له. وهذا الكلام لأبي الذيال شويش الأعرابي العدوي؛ قال: أنا ابن التاريخ، أنا والله العربي المحض؛ لا أرقع الجربان، ولا ألبس التبان؛ ولا أحسن **الرطانة**؛ وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم. قوله: أنا ابن التاريخ: يعني أنه ولد سنة الهجرة، ويريد بجملة قوله إنه أعرابي بدوي محض، من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار التي تكون على الأرياف والأنهار، فهم يتعلمون فيها السباحة؛ وإنه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم، والأعرابي إذا قال: قدمت الريف، فإنما يريد الحضر، قال الأصمعي – رحمه الله –: قيل لذي الرمة: من أين عرفت الميم لولا صدق من نسبك إلى تعليم أولاد العرب في أكتاف الإبل؟ قال: والله ما عرفت الميم! إلا إني قدمت من البادية إلى الريف فرأيت الصبيان وهم يحوزون بالفجرم في الأوق؛ فقال غلام منهم: قد أزقتم هذه الأوقة فصيرتموها كالميم، فوضع منجمه في الأوقة فنجنجه فأفهقها، فعلمت أن الميم شيء ضيق، فشبهت به عين ناقتي وقد أسلهمت وأعيت. وأما قوله: وما قرقمني إلا الكرم، فإنه يعني أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا في أهله، فجاء ولده ضاويا، ومنه الحديث: " اغتربوا لا تضووا " أي انكحوا في الغرائب؛ وقال الشاعر:

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه   أبو عبيد البكري ص/١٢٣

وقال آخر:

إن بلالا لم تشنه أمه ... لم يتناسب خاله وعمه." (١)

٣٤. " وأراد النميري قول سالم بن دارة ** لا تأمنن فزاريا خلوت به ** على قلوصك واكتبها بأسيار ** ولم تزل فزارة تهجى بغشيان الإبل قال راجز جاهلي ** إن بني فزارة بن ذبيان ** قد طرقت ناقتهم بإنسان ** وقال الفرزدق يهجو عمر بن هبيرة ** أوليت العراق ورافديه ** فزاريا أحد يد القميص ** ** ولم يك قبلها راعى مخاض ** ليأمنه على وركي قلوص ** واجتمع الشعراء يوما على باب أمير من أمراء العراق ومر عليهم إنسان يحمل بازيا فقال رجل من بني تميم لرجل من بني نمير انظر ما أحسن هذا البازي فقال له النميري نعم وهو يصيد القطا أراد التميمي قول جرير ** أنا البازي المطل على نمير ** أتيح من السماء له انصبابا ** وأراد النميري قول الطرماح ** تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ** ولو سلكت سبل المكارم ضلت ** وفي ص ٢٤٦ س ٢ قال أبو علي رحمه الله قال أعرابي والله ما أحسن الرطانة وإني لأرسب من رصاصة وما قرقمني إلا الكرم

٣٥. ________________________

٣٦. ". (٢)

٣٧. " هذا وإن لم يكن فيه سهو فإنه أورد كلاما ناقصا غير منسوب ولا مفسر وهو أحوج كلام إلى التفسير فيعلم مراده بقوله إنه لا يحسن الرطانة وبانتفائه من السباحة ومذهبه في قرقمة الكرم له

٣٨. وهذا الكلام لأبي الذيال شويش الأعرابي العدوى قال أنا ابن التاريخ أنا والله العربي المحض لا أرقع الجربان ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة وإني لأرسب من رصاصة وما قرقمني إلا الكرم

٣٩. قوله أنا ابن التاريخ يعني أنه ولد سنة الهجرة

٤٠. ويريد بجملة قوله إنه أعرابي بدوي محض من أهل الوبر لا من أهل المدر ولا من أهل الأمصار التي تكون على الأرياف والأنهار فهم يتعلمون فيها السباحة وإنه لم يجاور العجم فيحسن رطانتهم

٤١. والأعرابي إذا قال قدمت الريف فإنما يريد الحضر

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه   أبو عبيد البكري ص/١٢٤

(٢) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ط-أخرى   أبو عبيد البكري ص/١٢٣

٤٢. قال الأصمعي رحمه الله قيل لذي الرمة من أين عرفت الميم لولا صدق من نسبك إلى تعليم أولاد العرب في أكتاف الإبل قال والله ما عرفت الميم إلا أني قدمت من البادية إلى الريف فرأيت الصبيان وهم يحوزون بالفجرم في الأوق فقال غلام منهم قد أزقتم هذه الأوقة فصيرتموها كالميم فوضع منجمه في الأوقة فنجنجه فأفهقها فعلمت أن الميم شيء ضيق فشبهت به عين ناقتي وقد أسلهمت وأعيت

٤٣. وأما قوله وما قرقمني إلا الكرم فإنه يعني أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا في أهله فجاء ولده ضاويا

٤٤. ومنه الحديث إغتربوا لا تضووا أي أنكحوا في الغرائب وقال الشاعر ** فتى لم تلده بنت عم قريبة ** فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب ** وقال آخر ** إن بلالا لم تشنه أمه ** لم يتناسب خاله وعمه **

٤٥. ______________________

٤٦. ". (١)

٤٧. "وكان أوحد أهل زمانه في علم النحو واللغة عارفا بعلم الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل. قرأ القرآن العظيم بالروايات على أبي عبد الله: محمد بن علي بن أبي العاص النفزي المقرئ وأبي الحسن: علي بن هذيل الأندلسي وسمع الحديث من أبي عبد الله بن سعادة وأبي عبد الله: محمد بن عبد الرحيم الخزرجي يعرف بابن الفرس وغيرهم وانتفع به خلق كثير.

وكان يجتنب فضول الكلام لا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه الضرورة ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة. وكانت ولادته في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ودخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكان يقول – عند دخوله إليها – إنه يحفظ وقر بعير من العلوم. توفي يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة الصغرى في تربة القاضي الفاضل.

وفيره بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وتشديد الراء وضمها وهو بلغة **الرطانة** من أعاجم الأندلس ومعناه بالعربي الحديد.

والرعيني: نسبة إلى ذي رعين وهو أحد أقيال اليمن ونسب إليه خلق كثير.

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ط–أخرى   أبو عبيد البكري ص/١٢٤

والشاطبي: نسبة إلى شاطبة وهي مدينة كبيرة خرج منها جماعة من العلماء استولى عليها الإفرنج في العشر الأواخر من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

وقيل اسم الشيخ المذكور: أبا القاسم وكنيته هي اسمه لكن." (١)

٤٨. "وقال العتابى: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ. وإنما عنى: إن أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة، والعبارة النيرة فهو بليغ.

ولو حملنا هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكون الألكن بليغا لأنه يفهمنا حاجته بل ويلزم أن يكون كل الناس بلغاء حتى الأطفال، لأن كل أحد لا يعدم أن يدل على غرضه بعجمته أو لكنته أو إيمائه أو إشارته بل لزم أن يكون السنور بليغا لأنا نستدل بضغائه (١) على كثير من إرادته. وهذا ظاهر الإحالة.

ونحن نفهم رطانة السوقى (٢). وجمجمة (٣) الأعجمى للعادة التى جرت لنا فى سماعها. لا لأن تلك بلاغة ألا ترى أن الأعرابى إن سمع ذلك لم يفهمه إذ لا عادة له بسماعه.

وأراد رجل أن يسأل بعض الأعراب عن أهله فقال: كيف أهلك؟ بالكسر.

فقال له الأعرابى: صلبا إذ لم يشك أنه إنما يسأله عن السبب الذى يهلك به.

وقال الوليد بن عبد الملك لأعرابى شكا إليه ختنا (٤) له، فقال: من ختنك؟ ففتح النون. فقال: معذر (٥) فى الحى إذ لم يشك فى أنه إنما يسأله عن خاتنه.

وقال رجل لأعرابى: ألقى عليك بيتا. فقال: ألق على نفسك. وسمع أعرابى قصيدة أبى تمام (٦):

طلل الجميع لقد عفوت حميدا (٧)

فقال: إن فى هذه القصيدة أشياء أفهمها، وأشياء لا أفهمها فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه. ونحن نفهم

---

(١) الضغاء من السنور: صياحه.

(٢) **الرطانة**، بفتح الراء وكسرها: الكلام بالأعجمية.

(٣) الجمجمة: ألا يبين الإنسان كلامه.

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب   ابن فرحون ١٥٠/٢

(٤) الحتن: الصهر.

(٥) الإعذار: الختان.

(٦) ديوانه: ٨٧يمدح خالد بن يزيد الشيباني.

(٧) بقيته:

وكفى على رزئى بذاك شهيدا." (١)

٤٩. "أي ضرب من ضروب **الرطانة** الأعجمية، فالعربية –عنده– تحتفظ بمشخصاتها وأصولها، وأوضاعها في النحو والصرف، والاشتقاق والتركيب، بينما تتمثل معاني الثقافات الأجنبية تمثلا دقيقا في ألفاظ مألوفة بينة واضحة، مع حرصه على الدقة والإيجاز، ومع بعده عن التوعر والتعقيد، ومع النسج المحكم الدقيق.

ووطد المتكلمون دعائم هذا الأسلوب العباسي المولد الجديد، بما ملكوا من أزمة العربية، وكنوز الفلسفة والثقافات الأجنبية، وقد أثاروا مباحث كثيرة في علم الكلام، وفي الطبيعة والأخلاق، ولم يكونوا يصنفون فحسب، بل كانوا أيضا يناظرون، ويجادلون الدهرية والزنادقة، والملحدين بهذا الأسلوب الجديد الذي يموج بالألفاظ الجزلة المونقة، والمعاني الغزيرة المرتبة في مقدمات منطقية دقيقة، ومقاييس عقلية سديدة. وكانوا يفحصون مواد تعبيرهم ويمنحونها ويختبرونها، حتى يضعوا دقائق معانيهم في الألفاظ الطلية التي توائمها، ودفعهم ذلك إلى أن يسجلوا ملاحظات مختلفة، فهم على صحة مخارج الحروف وجمال الألفاظ، ووضوح المعاني ومواطن الإيجاز والإطناب، ومحاسن التعبير، وحاولوا الوقوف على ماسبقهم إليه اليونان، وغير اليونان من آراء وملاحظات في هذه الجوانب، وبذلك كانوا المؤسسين لأصول البلاغة العربية، وقد انتهى عندهم الأسلوب العباسي المولد إلى كل ما كان ينتظره من روعة، وجمال في اللفظ والمعنى.

وكل ما زدته في هذه الطبعة أو صححته، أو نقحته إنما دفعني إليه تحري الدقة، ومن رأيي دائما أن يعيد المؤلف النظر في مؤلفاته حين يعدها للطبع من جديد. وبذلك تنمو الدراسة الأدبية، ويستوفي الدارس حقوقها بقدر ما يستطيع، فتكثر الفائدة منها ويزداد النفع. والله أسأل أن يلهمني السداد في القول، والإخلاص في الفكر والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر ط–أخرى محمد بن منكلي ص/١١

القاهرة في ١٥ من يناير سنة ١٩٦٠م.

شوقي ضيف.." (١)

٥٠. "ويروي الجاحظ أن الكتاب الناشئين كانوا يدرسون آثاره ليتعلموا منها البيان، ويصقلوا عقولهم وألسنتهم١، وقد سخر مر السخرية من أحد هؤلاء الناشئين، إذ رآه يتعرض لقول ابن المقفع في كليلة ودمنة: "وكن كالنسر حوله الجيف، ولا تكن كالجيف حولها النسور"، ويقول: إنما كان ينبغي أن يقول بدلا من ذلك: "كن كالضرس حف بالتحف، ولا تكن كالهبرة٢ تطيف بها الأكلة". قال الجاحظ: وأظنه أراد الضروس، فقال: الضرس، وهذا من الاعتراض عجب٣.

والحق أن ابن المقفع كان من البلاغة في الذروة، ويكفي أنه استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي، وتاريخي، وفلسفي، وأدبي إلى العربية مع الاحتفاظ لها بيكانها ومشخصاتها، ومن غير شك عانى في سبيل ذلك كثيرا، فقد خرج بما كان يترجم، وينقل عن نطاق المعاني العربية السابقة إلى معان جديدة لم يسبق للغتنا أن أدتها، وهي معان كانت تزدحم عليه، وتتكاثر وتتنوع، ومع ذلك لم يستعص عليه التعبير عنه، وقد كانت حرية أن تحدث عنده اضطرابا في التراكيب، وأن تدخل في أساليبه صورا من **الرطانة** الأعجمية، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، فقد ظلت العربية عنده محتفظة بأصولها الأولى، ومقوماتها الأساسية مع السلاسة والطلاوة، واقرأ له هذه الفقرة من كتاب الأدب الصغير٤: "وسمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرضا، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى تغييره، وأفضل البر الرحمة، ورأس المودة الاسترسال٥، ورأس العقل المعرفة بما يكون، وما لا يكون، وطيب النفس حسن الانصراف عما لا سبيل إليه، وليس في الدنيا سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا فيها غم يعدل فقدهم. لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل كالمريض الذي قد علم دواء نفسه، فإذا هو

---

١ ثلاث رسائل للجاحظ "نشر فينكل" ص ٤٢.

٢ الهبرة: القطعة من اللحم.

٣ الحيوان ٦/ ٣٣٠.

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي أحمد شوقي ص/٦

٤ انظر رسائل البلغاء لكرد على "الطبعة الثالثة" ص ٣٥.

٥ الاسترسال: الاسترسال: الائتناس والانبساط.." (١)

٥١. "الكواكب، إشارة إلى هذا الخلاف الواقعي المعروف بين الفريقين حملنا كلامه على العموم.

فإن قلت: فهلا جعلت الضمير في قوله: والأشبه أنها ذاتية راجعا إلى البعض بنوع من الاستخدام.

قلت: لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف فإن التعبير عن اختيار شق ثالث غير معروف أصلا بمثل هذه العبارة يشبه **الرطانة** كما يشهد به الذوق السليم.

فإن قلت: يمكن حمل كلامه ابتداءا على بيان الخلاف في البعض أعني الخمسة المتحيرة وتخصيصه نقل الخلاف بالخلاف بالبعض ليس بمعنى: أنه لا خلاف في غيرها حتى يكون كاذبا في دعواه، إذ الخلاف في الكل يستلزم الخلاف في البعض.

قلت: عدم وجدان طريق إلى إثبات ذاتية أنوار الكل إنما يصلح وجها لتخصيص الدليل بالبعض، لا لنقل الخلاف في البعض، والقول: بأنه غير كاذب في هذا النقل، لأن الخلاف في الكل يستلزم الخلاف في البعض، كلام مموه لا يحسن صدوره عن ذي روية، إذ المحذور ليس لزوم كذب العلامة في هذا النقل، بل لزوم كون كلامه حينئذ كلاما مرذولا شديد الفجاجة، كثير السماجة، ونظيره أن يقول بعض الطلبة: اختلف المعتزلة والأشاعرة في أفعال العباد هل هي صادرة عنهم حقيقة أو كسبا؟ والأصح الأول، فيقال له: يا هذا الخلاف إنما هو في كل أفعالهم، فكيف نقلته في بعضها؟ فيجيب: بأن الخلاف في الكل يستلزم الخلاف في البعض، وإنما نقلت الخلاف في البعض لأني لم أجد طريقا إلى إثبات صدور الكل حقيقة، وهذا كلام لا يرتاب ذو مسكة في تهافته وسخافته، ومفاسد الكلام غير منحصرة في كونه كاذبا، بل كثير من مفاسده لا يقصر في الشناعة عن كذبه.

فإن قلت: في كلام العلامة شواهد كثيرة دالة على أن كلامه مختص بالخمس المتحيرة، منها قوله: فإن قيل: هذا إنما يصح في الكواكب التي تحت الشمس، وأما في العلوية إلى آخره، فإن المتبادر من العلوية في مصطلحهم هو ما فوق الشمس، من السيارات لا جميع ما فوقها منها ومن الثوابت، ومنها أن كلامه هذا مذكور في ذيل بيان خسوف القمر واستفادة نوره من الشمس، وحيث أنه من السيارة فيناسبه ذكر أحوالها لا أحوال بقية الكواكب ومنها أن قوله بعيد هذا المبحث: اختلفوا في أنه هل

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي أحمد شوقي ص/١٤٢

للكواكب لون؟ والأكثر على أن الأظهر ذلك مثل كمودة زحل ودرية المشتري والزهرة وحمرة المريخ وصفرة عطارد وفي الشمس خلاف، وأما في القمر فلونه ظاهر في الخسوف، لا ريب أنه بيان للاختلاف في ألوان السيارات فقط كما يشهد له التمثيل بها فيكون ما قبله بيانا للاختلاف في أنوارها فقط أيضا، إذ لواحق الكلام تدل على أن المراد من سوابقه ذلك.

ومنها قوله: فإن قيل: أحد الكواكب غير الشمس هو الذي يعطي الباقية الضوء، قلنا: إن كان من الثوابت لرؤي الكوكب القريب منه هلاليا ونحوه دائما إلى آخره، إذ لو كان مراده." (١)

٥٢. "إلا الكرم والله ما أحسن **الرطانة** ولا أتقاضى العشيرة وإني لأرسى من رصاصة وإن ذكر الله أحب إلى من جزور بهية في غداة عرية

٥٤٨ – ارض من المركب بالتعليق هو من العلقة وهي البلغة أي إذا لم تقدر على الركوب التام فتبلغ بعقبة وقيل هو من العليقة وهي الدابة يدفعها صاحبها إلى الرجل ليمتار له عليها وذلك انها تركب ساعة بعد ساعة أى رض بركوبها إن لم تظفر بركوب غيرها مما يركب وإنما يضرب في الرضا باليسير عند اعواز غيره

٥٤٩ – ارطى ان خيرك فى الرطيط هو الصياح والجلبة

٥٥٠ – ارغوا لها حوارها تقر اي احملوه على الرغاء لأن الناقة إذا سمعت رغاء حوارها هدأت يضرب فى إسكان الرجل باعطائه حاجته

٥٥١ – ارفع من السماء

٥٥٢ – ارق على خمرك اي سكن وعيدك كما تسكن الحميا بالمزاج ويروى جمرك بالجيم قال رؤبة." (٢)

٥٣. "المستشرق "هارتمان" عن كتاب الجاحظ في هذا المضمار: "أنه حفل بنظريات علمية مبتكرة في دور التكوين مثل: التطور والتأقلم وعلم النفس الحيواني التي اكتملت بعد عصر الجاحظ بأحد عشر قرنا. أوجز الجاحظ أسس أسلوبه العلمي في كتاب "الحيوان" فقال: "جمع معرفة السماع وعلم التجربة، وإشراك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة" ويعبر عن استعانته بالعقل والحواس والتجربة فيقول: "ليس يشفيني إلا المعاينة وكل قول يكذبه العيان هو أفحش خطأ، وأسخف

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٤٩/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١٤١/١

مذهبا، وأدل على معاندة شديدة أو غفلة مفرطة، وأن الخير لا يصدق إلا إذا أثبته العيان، وحققته التجربة".

ونية الجاحظ إلى اتخاذ الشك وسيلة إلى اليقين فقال: "أعرف مواضع الشك والحالات الموحية له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموحية له" وبذلك سبق "بيكون" و"ديكارت" الذين ظهرا في القرن السابع عشر الميلادي، وتفوق عليهما، وأدرك –بفطرته– ما غاب عنهما من عناصر.

وفي العصر الحديث برز النثر العلمي على يد رجال الفكر عبد إنشاء الجامعة المصرية ١٩٠٨ ونشاط الصحافة، واهتمام الباحثين بتطبيق منطق أرسطو، ومنهج بيكون، وفلسفة ديكارت في أبحاثهم، مما بعث نشاط الكتابة العلمية في مجالات: العلوم الطبيعية والفلسفية والاجتماعية والإنسانية، وعلوم الدين واللغة والأدب.

بدأ علماؤنا المحدثون يحذون حذو أسلافهم في نشر الثقافة العلمية الرفيعة في ربوع الوطن العربي بلغة عربية فصيحة، وأسلوب سهل خال من العجمة، برئ من **الرطانة** من أمثال: يعقوب صروف وفؤاد صروف وأحمد زكي وسلامة موسى ومصطفى نظيف، وعلي شرفة وغيرهم ممن أضاءوا الطريق أمام أجيال الكتاب والباحثين، ونجحوا في نقل المسائل العلمية المستعصية –لجمهور القراء– بلغة سهلة، وعبارات شيقة، وأسلوب خال من التعقيد والالتواء.." (١)

٥٤. "دهرها ما لم تكن تمني نفسها بالوشل القليل منه، وما هي إلا أيام قلائل حتى ظهرت في قصر ذلك الرجل العظيم فتاة جديدة من أجمل الفتيات وجها وأكرمهن أخلاقا وأرقهن شمائل وأكملهن آدبا، يعرفها كل من عرف صاحب القصر أنها ابنة قريب له مات عنها وخلفها يتيمة، فكان إلى هذا القصر مصيرها.

وكان لصاحب القصر فتاة من الفتيات اللواتي ربين التربية الحديثة التي يسمونها "التربية العصرية" ويريدون منها التربية الإفرنجية، فكان كل ما حصلت عليه من العلوم والمعارف، الفنون الآتية:

١– **الرطانة** الأعجمية حتى مع خادمها الزنجي، وكلبها الرومي.

٢– الولوع بمطالعة الروايات الغرامية.

٣– البراعة في معرفة أي الأزياء أعلق بالقلوب، وأجذب للنفوس.

---

(١) المقال وتطوره في الأدب المعاصر محمد الحبش ص/١٧٦

٤- الكبرياء والعظمة، واحتقار كل مخلوق سواها حتى أبويها.

٥- الأثرة وحب الذات حبا يملأ قلبها غيرة وحسدا، حتى إنها لا تستطيع أن تسمع وصفا من أوصاف الحسن يوصف به سواها.." (١)

٥٥. "" مثيرات " و " متخلفات " و " متطفلات " و " متبديات " (١) لابد وأن يصرف المعلق الارتجالي عنه. غير إنه من المستحيل أن يعالج النقد الحديث دون التحدث عن رتشاردز لأنه هو قالقه، بالمعنى الحرفي. فإن ما نسميه نقدا حديثا بدأ عام ١٩٢٤ عندما نشر كتاب " مبادئ النقد الأدبي " حيث يقول رتشاردز عن التجارب الجمالية:

سأجهد الجهد كله لأدل على أنها جد مشبهة لكثير من التجارب الأخرى وأنها تختلف، في المقام الاول، بالعلاقات القائمة بين محتوياتها، وأنها ليست إلا تطورا للتجارب العادية وأنها من ثم تصبح أدق منها وارهف تنظيما، إلا أنها ليست بحال تجارب جديدة مغايرة للتجارب العادية. وحين ننظر إلى صورة، أو نقرأ قصيدة، أو نصغي إلى الموسيقى، لا نفعل شيئا مباينا تماما لما نفعله ونحن ذاهبون إلى بهو التصاوير، أو لما فعلناه حين لبسنا ملابسنا صباحا؛ نعم أن الطريقة التي تأدت بها التجربة إلى أنفسنا مختلفة، كما أن التجربة نفسها أكثر تعقيدا، وإذا وفقنا فيها فأنها تكون أكثر وحدة، غير أن فعاليتنا ليست في أساسها من نوع مخالف أبدا.

وإذ يخصص الكلام في الشعر، تجده يقول:

ليس لعالم الشعر، بأي معنى، واقع مخالف لسائر ما في العالم، وليست له قوانينه الخاصة، ولا خصائص مستمدة

---

(١) كل هذه المصطلحات تشير إلى أنواع من الكلمات:

فالمثيرات هي الكلمات التي تثير عواطف محيرة والمتخلفات لكثرة الإشارات المترابطة، والمتطفلات هي الكلمات التي يطلقها المتكلم حول موضوع لم يسيطر عليه تماما، والمتبديات كلمات تشبه **الرطانة** أو الأصوات الفارغة في حقيقة دلالاتها (انظر معنى المعنى ص: ١٣٦ وما بعدها) .." (٢)

---

(١) النظرات حمزة محمد قاسم ٤١/٢

(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ستانلي هايمن ١١٧/٢

٥٦. "بعد أن ينزاح من أمامهم جيل رائج الكتب، قصير عمر الشهرة. أما السبب في عدم إقبال القراء عليه أو عزهم عن قراءته فانه يرجع إلى تهمة " الغموض " أو " **الرطانة** " التي يستعملها. ولقد قال في " مقولة مضادة " دون أن يهدف إلى الدفاع عن نفسه: " هناك أشكال من البراعة كالتعقيد والحذاقة والعمق والصرامة في الأسلوب تحدد من رواج الكتاب حتى يصبح كأنما هو كتاب في الرياضيات العالية ". والحق في كتابة بيرك في ذاتها واضحة مستقيمة غير ملتوية أما الغموض فمرجعه إلى المبادئ والمصطلحات حتى أن كرو رانسوم أقصى ناقديه لم ينكر عليه أبدا جمال الأسلوب الأدبي. أما اتهامه **بالرطانة** فانه اتهام صائب لأنه منجذب أحيانا إلى الأسلوب الفلسفي الألماني ويدافع عن " تسمياته المحيرة " ويعدها " نوعا من الشعر " وهو يقترب من رطانة تلك الفلسفة في مصلحات استعملها مثل المبدأ الملثوسي الجديد – المنظورات من خلال التباين، وهكذا.

وليبرك أيضا انتحاءات أسلوبية مزعجة لقرائه منها استعماله الكلمات حسب المعاني التي يريدها، ووضعها بين معقفين " " وتذييل متنه بالشرح والتعليق وقد تكاثرت هذه التعليقات في كتبه على شكل قوس فكانت قليلة في " مقولة مضادة " وكثرت في " الثبات والتغير " وازدادت في " النزعات " وعادت تقل في " فلسفة الشكل الأدبي " وانعدمت في " نحو الدوافع ". وقد بلغت التعليقات بقدر المتن في " النزعات " وتوازت معه توازي الخاص والعام، والعارض والعمد، والإيحائي والساطع. وقد نثر في الحواشي إيحاءات بأشياء لم يسعفه الزمن على مزاولتها مما قد يحتاج " فيلقا " من النقاد يعملون فيه طوال حياتهم. كذلك فان إدراج مادة في الحاشية مغايرة للمادة التي في المتن تصيب القارئ بالشيزوفرانيا، ولعل هذا الازدواج نفسه يوحي بانفصام في عقل بيرك نفسه لكنه استطاع أن." (١)

٥٧. "شيوع اللغة العامية وفساد العربية:

كانت العامية في الأمصار الإسلامية أول عهدها لحنا صرفا، لما بقي في أهلها من آثار السليقة؛ على حساب هذه الآثار كانت درجاتها في القرب من الفصيح والبعد عنه؛ فكانت لا تزال قريبة من الفصحى في عوام الحجاز والمصريين: البصرة والكوفة، إلى القرن الثالث، حتى عرف بعضهم المولد بأنه ما يكون من هذا الضرب لحنا وتحريفا كما أومأنا إليه من قبل.

وقد ذكر الجاحظ لغة أهل المدينة لعهده، فقال: إن لهم ألسنة ذلقة، وألفاظا حسنة، وعبارة جيدة....

---

(١) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ستانلي هايمن ٢/٢٤٢

ثم قال: "واللحن في عوامهم فاش، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب".

أما العامة في الشام ومصر والسواد، فقد علقوا ألفاظا كثيرة من الفارسية والرومية والقبطية والنبطية، فسدت بها لغتهم فسادا كبيرا؛ لأنهم خلطوها بها خلطا، ولم يجانسوا بين الأصل والدخيل، وليس يخفى أن أكثر ما تقتبسه العامية إنما هو من الأسماء، وأن اقتباس الصفات فيها قليل؛ لأن الأسماء هي في الحقيقة أدوات الاجتماع، والعوام إنما يلتمسون التعبير والإبانة كيفما اتفق لهم هذا الغرض، ولقد كانت الشام ومصر وسواد العرب أوفر خصبا وأكثر عمرانا من سائر الأمصار الإسلامية، فمن ثم كان عوامها أسقط ألفاظا. وقد رأينا العلماء يصفون اللفظ العامي الساقط المبذوء وما يدخل في باب **الرطانة** من ذلك، بالسوقي -نسبة إلى السوق- لا يتجاوزون هذا الوصف؛ لأنه أبين في الدلالة في الفساد والابتذال؛ ولأن الأسواق لا تعنى من أمر الجيد والزيف إلا بألفاظ لغة الأرزاق "الدراهم" ... وهي بعد مجامع العامة على تباين أجناسهم، ومعارض الأشياء على اختلاف جهاتها، وقد قلنا في اللغات التجارية التي لا قوام لها من نفسها، وتلك حقيقة لغات الأسواق.

ورأينا العلماء ألفوا كتبا "فيما تلحن فيه العامة" ككتاب أبي عبيدة، وأبي حنيفة الدينوري، وأبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب "الفاخر في لحن العامة" للمفضل بن سلمة، "ولحن العامة" للفراء١، وكل هؤلاء لا يتجاوزون المائة الثالثة، ولا يعدون في صنيعهم أن يوردوا ألفاظا من الفصيح حرفتها العامة، ثم يذكرون أصلها على صحته، وذلك يدل على أن العامية لم تكن طغت على

---

١ ولأبي بكر الزبيدي الأندلسي المتوفى سنة ٣٧٩هـ كتاب فيما يلحن فيه عوام الأندلس، ولعله جرى فيه مجرى هذه الكتب تقليدا للمشارقة، ولسلامة بن غياض النحوي المتوفى ببغداد سنة ٥٣٣هـ كتاب فيما تلحن فيه عامة زمانه، ولا نراه إلا تقليدا ومتابعة، وكذلك فعل أبو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩هـ فألف فيما تلحن فيه العامة ولم يخص كتابه بزمن، وهذا يدل على أن ذلك النوع من التأليف صار لغويا محضا، وأن العمل فيه إنما كان شرحا وجمعا واختصارا، كما فعلوا في سائر الفنون التي لا يؤلف فيها لشيء إلا لأن التأليف "عمل العلماء".." (١)

---

(١) تاريخ آداب العرب محمد بن إسحاق الخراساني ١/١٦٥

٥٨. "واليهود والصابئة والمجوس، ومنهم أهل الوبر وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدر وهم أصحاب المجاشر والقرى والأطم، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون. ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعجم وأهل **الرطانة** بالعبرانية والفارسية والإغريقية واللطينية والبربرية. خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمر الله في اعتمار أرضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية إن في ذلك لآيات للعالمين. واعلم أن الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الأجيال والأمم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه. ولهذا كان الاختلاف كثيرا ما يقع في نسب الجيل الواحد أو الأمة الواحدة إذا اتصلت مع الأيام وتشعبت بطونها على الأحقاب كما وقع في نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب.

اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوي استظهر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الأحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التي تكون فيهم منتقلة متعاقبة في بنيهم.

وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك؟ فقيل له فإلى إسماعيل فأنكر ذلك وقال من يخبره به؟ وعلى هذا درج كثير من علماء السلف وكره أيضا أن يرفع في أنساب الأنبياء مثل أن يقال إبراهيم بن فلان بن فلان وقال من يخبره به. وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى: «والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ١٤: ٩» قال: كذب النسابون. واحتجوا أيضا بحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال من هاهنا كذب النسابون. واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أنه علم لا ينفع وجهالة لا تضر إلى غير ذلك من الاستدلالات.

وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن إسحاق والطبري والبخاري الى جواز الرفع في الأنساب ولم يكرهوه، محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من." (١)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢/٤

٥٩. "(بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الكتاب الثالث في أخبار البربر والأمة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم)

هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملئوا السبائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس. ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج. وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة.

ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة. ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل ورءوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق. ولغتهم من **الرطانة** الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم.." (١)

٦٠. "أصحاب المجاشر والقرى والاطم ومنهم البدو الظواهر والحضر الاهلون ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعجم أهل **الرطانة** بالعبرانية والفارسية والاغريقية واللطينية والبربرية خالف أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمر الله في اعتمار أرضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية ان في ذلك لآيات للعالمين (واعلم) أن الامتياز بالنسب أضعف المميزات لهذه الاجيال والامم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ولهذا كان الاختلاف كثيرا ما يقع في نسب الجيل الواحد أو الامة الواحدة إذا اتصلت مع الايام وتشعبت بطونها على الاحقاب كما وقع في نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب فإذا اختلفت الانساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التى تكون فيهم منتقلة متعاقبة في بنيهم (وسئل) مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك فقيل

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٦/١١٦

له فالى اسمعيل فأنكر ذلك وقال من يخبره به وعلى هذا درج كثير من علماء السلف وكره أيضا أن يرفع في انساب الانبياء مثل أن يقال ابراهيم بن
فلان بن فلان وقال من يخبره به وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون واحتجوا أيضا بحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم إلى عدنان قال من ههنا كذب النسابون واحتجوا أيضا بما ثبت فيه أنه علم لا ينفع وجهالة لا تضر إلى غير ذلك من الاستدلالات (وذهب) كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحق والطبري والبخاري إلى جواز الرفع في الانساب ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبى طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهرى وابن سيرين وكثير من التابعين قالوا وتدعو الحاجة إليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح والعاقلة في الديات والعلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه القرشى الهاشمي الذى كان بمكة وهاجر إلى المدينة فان هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها وكذا من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم فهذا كله يدعو إلى معرفة الانساب ويؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغى أن يكون ممنوعا وأما حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه إلى عدنان قال." (١)

٦١. "* (بسم الله الرحمن الرحيم) * وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ الكتاب الثالث في أخبار البربر والامة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم ﴾ هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملؤا البسائط والجبال من تلوله واريافه وضواحيه وأمصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الاملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شان العرب ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة

(١) تاريخ ابن خلدون - إحياء التراث ابن خلدون ٣/٢

ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من **الرطانة** الاعجمية متميزة بنوعها وهى التى اختصوا من أجلها بهذا الاسم يقال ان افريقش ابن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار وباسمه زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجيل من الاعاجم

وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الاسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة * وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماد غيس ويلقب ماد غيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا برو بين النسابين خلاف هل هما لاب واحد فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لاب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق وقال سالم بن سليم المطماطى وصابى بن مسرور الكومى وكهلان بن أبي لووهم نسابة البربر ان البرانس بتروهم من نسل مازيغ بن كنعان والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان وربما نقل ذلك عن ايوب بن أبى يزيد الا ان رواية ابن حزم أصح لانه أوثق (وأما) شعوب البرانس فعند النسابين انهم يجمعهم سبعة اجذام وهى ازداجة ومصمودة وأورية وعجيسة." (١)

٦٢. "الفصل الثانى

المجتمع الجزائرى

١ -

عناصر (١) السكان

البربر هم العنصر الأول الذى ملأ بقبائله وشعوبه وبطونه السواحل والسهول والتلال والجبال والهضاب من إقليم الجزائر، مثله فى ذلك مثل بقية أقاليم المغرب، واختلف المؤرخون طويلا فى نسب البربر من الأمم القديمة، فقيل إنهم أخلاط من اليمن فى آسيا، وقيل إنهم من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعهم ملوكها من المقام بها، فعبروا النيل إلى ديار المغرب وانتشروا فى أرجائها، وقيل إنهم من ولد القبط المصريين، وقيل هم من ولد جالوت ولما

---

(١) تاريخ ابن خلدون - إحياء التراث ابن خلدون ٨٩/٦

قتل رحل بهم إفريقش من ساحل الشام إلى ديار المغرب وأسكنهم إفريقيا، وقيل هم قبائل شتى من حمير اليمنية ومضر العدنانية والقبط والعمالقة والكنعانيين، وقيل إنهم أبناء مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح، وكان مازيغ أخا لفلسطين، وبارح أبناؤه الشام إلى ديار المغرب فهم حاميون. ويعلق ابن خلدون على هذه الأقوال فى أنساب البربر وما يماثلها بقوله: إنها «أحاديث خرافة»، إذ مثل هذه الأمة (البربرية) المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون فى بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام، فما الذى يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات فى شأن أوليتهم، ولا يحتاج إلى مثله فى كل جيل وأمة من العجم والعرب». ويذكر ابن خلدون أن من النسابين البربر من يزعم فى بعض قبائلهم وشعوبهم أنهم من حمير اليمنية مثل لواته وهوارة وزناتة، ثم يقول: الحق الذى شهدت به الرطانة والعجمة (فى ألسنة البربر) أنهم بمعزل عن العرب». وابن خلدون محق فى قوله إن ذلك كله خرافة وترهات ومزاعم باطلة، ولا حاجة–أى حاجة– للبربر به، إذ هم شعب عريق لا يقل عراقة عن العرب والمصريين والفرس والروم، عاشت

---

(١) انظر فى تلك العناصر الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون ووصف إفريقيا للحسن الوزان والبيان المغرب لابن عذارى والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوى وتاريخ المغرب الكبير لدبوز والجزء الأول من تاريخ المغرب لرشيد الناضورى وتاريخ المغرب فى القديم والحديث لمبارك الميلى وكتاب الجزائر لأحمد توفيق المدنى وكلمة الجزائر فى دائرة المعارف الإسلامية.." (١)

٦٣. "إلى الجنوب فى الصحراء يجاهد فى سبيل الله ونشر دينه حتى بلغ السودان ونهر النيجر، وتوفى سنة ٤٨٠، وصار كل ما فتحه يدين بالولاء ليوسف فعظم أمره وشأنه. ومن سياسته الرشيدة أنه كتب إلى الخليفة العباسى ببغداد يبايعه ويطلب منه تقليدا بولايته على ما بيده من البلدان وخاطبه الخليفة بلقب أمير المسلمين، وثبت له هذا اللقب من حينئذ، وبذلك أدخل المغرب الأقصى فى إطار الجامعة الإسلامية العربية، واستصرخه أمراء الأندلس ضد نصارى الإسبان الشماليين، فعبر الزقاق بجنوده، وسحق أعداء الإسلام فى وقعة الزلاقة المشهورة فى سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م. وأخذ الأندلسيون من

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف   أحمد شوقي ١٠/٥٠

حينئذ يندمجون فى سكان المغرب الأقصى بالزيارة والمصاهرة وخدمة دولة المرابطين والعمل فيها كتابا وقضاة وموظفين وعلماء يفدون على جامعة القرويين ومساجد مراكش وسبتة وطنجة وأصيلا وغيرهما من بلدان المغرب مما كان له أثر بعيد فى استكمال تعربها.

وتتحول مقاليد الحكم فى المغرب الأقصى إلى دولة الموحدين، ومر بنا فى الفصل الثانى- أن القبائل الهلالية بالجزائر: الأثبج وزغبة ورياحا وقرة وضعت يدها فى يد صنهاجة لحرب عبد المؤمن فأرسل إليها جيشا هزمها وولت على وجوهها لا تلوى على شئ تاركة وراءها نساءها وأولادها، فأمر بحملهم إلى مراكش وأجرى عليهم نفقات واسعة، وكتب إلى أمراء تلك القبائل المنهزمة بأن أبناءهم فى الحفظ والصون. وبذل لهم الأمان والكرامة ووفدوا عليه، فرد عليهم نساءهم وأولادهم وأجزل لهم فى العطاء، واحتفى بهم، فملك قلوبهم، ويقال إنه أحلفهم على السمع والطاعة له وعونه على الجهاد فى الأندلس مع القبائل المغربية، وفى عودته من فتح المهدية سنة ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م نقل من تلك القبائل الهلالية ألفا من كل قبيلة وأسكنهم البلاد المغربية منتويا بنظره الصائب أن يبعدهم عن الجزائر حتى تتخلص من عيثهم فيها وأن يشغلهم بالجهاد فى الأندلس. وأتاح ذلك للمغرب الأقصى جمهورا كبيرا منهم امتزج بسكانه وأنسى كثيرين منهم الرطانة البربرية وأبدلهم منها الفصاحة العربية. وفى سنة ٥٥٨ عزم عبد المؤمن على الجواز إلى الأندلس فأرسل إلى الأعراب فى بجاية وإقليمها يستصرخهم إلى الجهاد فى سبيل الله بالأندلس فاستجاب له منهم-كما يقول صاحب المعجب-جمع ضخم، فأنزل بعضهم نواحى قرطبة وبعضهم نواحى إشبيلية، وأقاموا هنالك. ودعا ابنه يوسف الخليفة بعده قبيلة رياح بالجزائر لنفس الغاية، فوفد عليه منهم حشد ضخم وضعوا أنفسهم-كما مر بنا-تحت تصرفه، وعبر كثير منهم معه الزقاق للجهاد فى الأندلس. وخرجت بقايا رياح وجشم والأثبج فى الجزائر على ابنه يعقوب وردها إلى طاعته، ونقلها إلى المغرب الأقصى فأنزل قبيلة رياح منطقتى الهبط وأزغار، وأنزل قبيلة جشم منطقة تامسنة وقبيلة الأثبج منطقتى دكالة وتادلة. وأخذ كثير من عشائر هذه القبائل ينساح داخل البلاد وعلى المحيط وفى السهول الواقعة بين سلا ومكناس. ومنح يعقوب نوميديا أى الصحراء جنوبى." (١)

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ٣٧٦/١٠

٦٤. "الفصل الثانى

المجتمع التونسى

١ – عناصر (١) السكان

البربر هم العنصر الأول الذى سكن القطر التونسى وعمر أرضه أجيالا وقرونا قبل أن ينزله عناصر جدد، واختلف المؤرخون فى أصلهم ونسبهم، فقيل هم إفريقيون أصلا وموطنا وقيل بل هم آسيويون، فمن قائل إن أصلهم من اليمن، ومن قائل إن أصلهم من العماليق انتقلوا من ديار الشام إلى إفريقية، ومن قائل إنهم أخلاط من كنعان والعماليق، ومن قائل إنهم من عرب الشمال من ولد قيس بن عيلان، ومن قائل إن جدهم مازيغ كان أخا لفلسطين وأن أبناءه بارحوا الشام واخترقوا مصر إلى إفريقية، ومازيغ كان ابن كنعان بن حام، وهم بذلك حاميون لا ساميون، ويعلق ابن خلدون على هذه الآراء وما يماثلها فى بيان نسب البربر بأنها «أحاديث خرافة إذ مثل هذه الأمة (البربرية) المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض (المغربية) لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون فى بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الإسلام، فما الذى يحوجنا إلى التعلق بهذه الترهات فى شأن أوليتهم ولا يحتاج إلى مثله فى كل جيل وأمة من العجم والعرب». ويضيف ابن خلدون إلى ذلك قوله «إن نسابة البربر يزعمون فى بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة يزعمون أنها من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنها من كندة ومثل زناتة يزعمون أنها من بقايا التبابعة. . وهذه كلها مزاعم، والحق الذى شهدت به الرطانة والعجمة (فى ألسنة البربر) أنهم بمعزل عن العرب». وابن خلدون محق فى وصف ذلك كله بأنه مزاعم وترهات، إذ لا حاجة للبربر بذلك كله، إذ هم شعب عريق أصيل مضاه لشعوب العالم العريقة الأصيلة مثل

(١) انظر فى عناصر السكان بتونس الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون، وكتاب ورقات عن الحضارة بإفريقية للأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب: الجزء الثالث، والمغرب الكبير لرشيد الناضورى: الجزء الأول، كذلك تاريخ المغرب الكبير لدبوز وبرنشفيك ١/ ٣١٣ وما بعدها.." (١)

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ١٤١/٩

٦٥. "التخاطب بلغتهم، فلم يتهيأ لهم ذلك، وبقى المالطيون محافظين على ما عندهم من العربية خلفا عن سلف، وإن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب».

وظلت العامية شائعة على ألسنة أهل القيروان والمدن الساحلية الشمالية إلى أن خففت من حدتها فى منتصف القرن الخامس الهجرى الزحفة الهلالية والسليمية، وقد مضى الزاحفون يعربون المناطق البعيدة والأطراف النائية التى لم يكن لها عهد بالعربية، وكان مما عمل على نشر العربية فى الإقليم التونسى بعد هذه الزحفة هجرة الأندلسيين إليه فى أوائل القرن السابع الهجرى إذ يقول ابن خلدون: «إن ملكة العربية صحت فى إفريقية (تونس) بجلاء أهل شرقى الأندلس إليها» ومعروف أن هذا الجلاء كان فى أوائل القرن السابع. على أننا لا نصل إلى أوائل القرن الثامن الهجرى حتى يحدثنا التجانى فى رحلته عن شعراء سليميين وهلاليين اشتهروا بأشعارهم الملحونة، ويسمون القوالين. وأطال ابن خلدون فى أواخر هذا القرن فى الحديث عن هؤلاء الأعراب القوالين فى تونس والبلاد المغربية، وكأن اللحن شاع على ألسنة الأعراب جميعا فى القرن السابع الهجرى، وربما سبق هذا التاريخ فى بعض الأنحاء وتأخر فى أنحاء أخرى مثل عرب برقة بشهادة العبدرى كما مر بنا. ويقول ابن خلدون فى الفصل الذى عقده لأشعار الأعراب وأهل الأمصار لعهده: «إنهم يقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الأعاريض على ما كان سلفهم المستعربون يأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء» ثم يقول: «وأساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب فى أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم (أشعارهم) موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب». وأخذت هذه العامية التونسية تتأثر بعد ابن خلدون بلغة من احتلها من الإسبان ومن الترك على نحو ما مر بنا فى حديثنا عن تاريخها، وبذلك احتوت العامية التونسية بعض رطانات فى مقدمتها **الرطانة** البربرية التى امتزجت بها من قديم.

وإذا كان ابن خلدون لاحظ أن المهاجرين الأندلسيين القدامى فى القرن السابع الهجرى بثوا روحا وانتعاشا فى ملكة العربية التونسية فإن ملاحظته تنصب–فيما بعد–على المهاجرين الأندلسيين فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى، إذ بثوا نفس الروح والانتعاش، وحالوا بينها وبين الركود الأدبى الذى رافق العثمانيين فى حكمهم للبلاد العربية المشرقية. ومن المؤكد أنه كانت هناك لغة عامية يتداولها الناس–كما مر بنا–وأخذت تشيع فى البوادى والأنحاء البعيدة منذ القرن السابع الهجرى، وربما قبل

ذلك فى بعض الجهات، غير أنه من المؤكد أنه كان للفصحى دائما السيادة عليها، لأنها لغة القرآن الكريم والدين الحنيف ولغة الثقافة والعلم بمختلف فروعه، ولغة الأدب وروائعه الشعرية والنثرية.." (١)

٦٦. "يرجع الأخباريون أصل المناذرة إلى عرب الجنوب، وينسبونهم إلى كهلان قائلين: إن قبائل عربية عديدة قدمت من الجنوب إثر تهدم سد مأرب، وتجمعت حول البحرين، منها قبيلتا لخم وتنوخ من أزد عمان، ونزحت كل منهما، واحدة تلو الأخرى، إلى جهات جنوبي العراق، تلمسا لأسباب الرزق في المناطق الخصبة التي كانت تغري البدو وتجذبهم إليها، شأنهما في ذلك شأن سائر القبائل العربية التي كانت تنزح إلى الشمال الخصيب في هجرات متعاقبة.

إن هذه الأقوال وإن تكن معقولة من حيث إمكان تجمع قبائل عربية في البحرين، ثم نزوحها إلى المناطق الشمالية، غير أنها لا تخلو من تناقض مع الحقائق التاريخية؛ ذلك أن سد مأرب لم يتهدم إلا في أواخر القرن السادس الميلادي، بينما يحدد الأخباريون نزوحهم إلى الهلال الخصيب، في وقت موافق للقرن الثالث الميلادي١. ثم إن الدراسات التي قام بها المؤرخون المحدثون قد دلت على أن لغة أهل الحيرة التي قامت فيها دولة المناذرة لم تكن على لهجة واحدة، بل هي خليط من لهجات فيها من الحميرية وفيها من العدنانية وفيها من الهجنة، كما فيها من **الرطانة** النبطية. وهذا ما دفع بعض المؤرخين المحدثين إلى القول بأنهم من عرب الشمال، بينما يتبين من الدراسات التي أشرت إليها أن الظن يتجه إلى كونهم قبائل عديدة فيها من القحطانية وفيها من العدنانية، شملتهم تسمية "تنوخ" لا قبيلة واحدة أصلها من الجنوب.

ولعل ما جاء في رواية للطبري عن كيفية هجرة العرب إلى الحيرة ما يؤيد هذا القول، إذ يبين أن قبائل عديدة منها قبائل معدية عدنانية كانت تسكن تهامة فحدثت بينهم حروب فتشتتوا "وأقبلت منهم قبائل نزلت البحرين، وبها جماعة من الأزد كانوا قد نزلوا فيها من زمن" ثم يعدد القبائل النازحة إلى البحرين، ومنها ما هو معدي ومنها ما هو يمني، ويختم روايته بقوله: "فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ، وتعاقدوا على التآزر والتناصر، فصاروا يدا على الناس، وضمهم اسم تنوخ"٢. والواقع أن هذا الاندماج يتفق مع ما ذكرناه سابقا من إمكانية اندماج القبائل المتحالفة في اسم واحد تعرف جميعها به بمرور الزمن.

---

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ٢٠٧/٩

١ محمد مبروك نافع: المصدر نفسه، ص١١٥.

٢ د. جواد علي: ٤/ ١٨؛ الطبري: ٢/ ٣.." (١)

٦٧. "والواقع أنه ليس ثمة من دليل تاريخي على قدوم اليهود إلى بلاد العرب قبل القرن الأول الميلادي. وربما يكون مجيئهم إلى شمالي الحجاز وقت أن نكل بهم الرومان في عام ٧٠، عندما قاموا بثورة ضدهم، وبعد أن سيطرت روما على الشرق العربي قبيل منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وعلى كل حال وجد منهم في يثرب قبائل يهودية عرفت أخبارها وعلاقاتها مع عرب المدينة في القرن الأول الذي سبق ظهور الإسلام. وهي قبائل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة.

ويشك بعض المؤرخين في كون القبائل اليهودية في يثرب يهودية الأصل حقا، أو في أنها جاءت من خارج الجزيرة العربية، فاليعقوبي يقول عن بني النضير بمناسبة الوقعة التي أوقعها بهم النبي: "ثم كانت وقعة بني النضير وهم فخذ من بني جذام، إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له: النضير فسموا به"١، وكذلك كان رأيه في بني قريظة؛ غير أن الذي عليه عامة المؤرخين، أنهم قدموا من خارج الجزيرة العربية، وأنهم يهود في الأصل، وأن أسماءهم وإن كانت عربية، إلا أن أسماء آبائهم وجدودهم عبرية، وأن الرطانة العبرية كانت تبدو على لسانهم عندما كانوا يتكلمون العربية، كما أن النسابين العرب لم يذكروا أية قبيلة من قبائل اليهود في المدينة أو في غيرها ضمن الأنساب العربية، ولم يحاول اليهود أن يفعلوا ذلك أيضا، لا بل كانوا يحرصون على نسبة أنفسهم إلى الإسرائيليين٢.

نزل اليهود يثرب، وقد أتوا إليها -على أغلب الظن- متفرقين خلال فترات متفاوتة. لكنهم تكاثروا فيما بعد في غربيها وجنوبيها، وعلى الطريق المؤدية منها إلى الشام. وأما القبائل التي سكنتها منهم فهي قبائل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وقد قدر عدد رجالها البالغين بحوالي ألفين، بينما ذكر بعض المؤرخين أن أكثر من عشرين بطنا آخرين، كانوا يسكنون في جوارها، أو في جوار القبائل العربية في يثرب. وقد ذكروا بعض أسماء هذه القبائل، ومنها بنو محمحم، وبنو زعورا وبنو ثعلبة وغيرهم ... والمعتقد أنها بعض بطون من القبائل اليهودية الأخرى سكنت في ضواحي المدينة، وفي القرى القريبة منها.

(١) تاريخ العرب القديم الشريف المرتضي ص/١٢٤

١ اليعقوبي: ٢/ ٣٦.

٢ أحمد إبراهيم الشريف: المصدر نفسه، ص٣٠١.." (١)

٦٨. "أقبلتها غرر الجياد كأنما...أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله أيضا: -

أعيا زوالك عن محل نلته...لا تخرج الأقمار عن هالاتها

الهالة: الدائرة حول الشمس والقمر جميعا، فكما أن القمر لا يخرج عن هالته، فكذلك أنت لا تزول عن شرف محلك، وهذا مدح حشيم، ومثل مضروب وتشبيه حسن.

حرف الدال

القصيدة التي أولها: (من الوافر - قافية المتواتر).

احاد أم سداس في أحاد...لييلتنا المنوطة بالتنادي

هذا المطلع يمجه السمع؛ لاشتماله على لفظ ملفوظ، ومعنى منبوذ، وهو **بالرطانة** أشبه منه بالكلام العربي، وقد خطى فيه، وليس فيه معنى غريب؛ فإن معناه: ليلتنا المنوطة بالتنادي، أواحدة أم ست؛ لأن ستا في واحدة ست، أم سبع، إذا جعلت الستة في الواحدة، كالشيء في الظروف، ولم يرد الضرب الحسابي، وكل من القولين قال به قائل.

وهذا البيت مع ركة معناه، اشتمل على ثلاث لحنات:

أحدها:

أحدها: استعمال أحاد وسداس بمعنى: واحدة وست، وإنما هما بمعنى: واحدة واحدة، وست وست،." (٢)

٦٩. "جمح الزمان فما لذيذ خالص...مما يشوب ولا سرور كامل

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ...يته المنى وهو المقام الهائل

هذا تخلص بديع غريب لم يسبق إليه، عذب لفظة، وحسن سبكه.

معناه: مني كل أحد رؤيته. وهي مقام هائل.

---

(١) تاريخ العرب القديم الشريف المرتضي ص/١٨٦

(٢) تنبه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب ص/٥٢

فهذه المنية لم تخلص للناس من شائب. وما أحسن ما قال بعده:

للشمس فيه وللرياح وللسحا...ب وللبحار وللأسود شمائل

فتأمل لحسن هذه الأبيات الجزلة والمعاني الفخمة، وكيف أتبعها بما لو رزق السكوت عنه لكان أفضل؛ لابتذاله وسقوط لفظه، وهو قوله:

ولديه ملعقيان والأدب المفاد...وملحياة وملممات مناهل

أراد: من العقيان، وهو الذهب، فحذف النون، وأراد: من الحياة، ومن الممات فحذف النون – أيضا – وليت شعري: لو حذف هذا البيت كله، هل كان يفوته معنى غريب، أو لفظ بديع!؟، وما الذي حمله على أن يرتكب هذا القبح كله؟، ثم بعد هذا البيت بأبيات أتى بما هو أثقل منه، وأشد تنافرا للحروف، قريب من **الرطانة**، بعيد عن الفصاحة، وهو قوله:." (١)

٧٠. "و (قحدم) هوى من جبل أو بئر على رأسه

و (قحزبه) صرعه

وكذلك (قحزمه) بالميم و (قحزمه) أيضا صرفه عن رأيه و (تقحزم) الرجل تشدد

و (قرضع) مشى مشيه لينة الإضطراب والكتاب قرمطه وأيضا أكل أكلا ضعيفا

و (قرطب) إذا زلق فوقع على فقار ظهره وذكر أن أعرابيين صليا الجمعة إلى جنب الحسن فلما ركع الناس تأخرا فقال أحدهما لصاحبه اثبت فإنها القرطبي فضحك الحسن حتى أعاد الصلاة (وقرطبه قطعة وقرطب مثل أقطب إذا عسب وقرطبه صرعه)

وضربه (فقعطبه) أي قطعه

و (القهبلة) ضرب من المشي

و (القعثرة) اقتلاعك الشيء من أصله

ومن (يقتلعث) في مشيه و (بتقعثل) إذا مر كأنه يتقلع من وحل

و (قلفح) ما في الإناء أكله أجمع

و (القردسة) الصلابة والشدة ومنه إشتقاق قردوس

و (قذعل) في مشيته أسرع

(١) تنبه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب ص/١٠٩

و (القرزلة) جمعك الشيء

و (القعسرة) الصلابة والشدة

و (قرمش) الشيء جمعه

وكذلك (قرشمه)

و (قرمص) الرجل دخل القرموص وهو حفير يكتن فيه من البرد

و (تقرعف) الرجل و (تقرفع) و (أقرعف) تقبض

و (القلزمة) الابتلاع ومنه بحر القلزم

و (قهصلت) الشيء كسرته

و (القمعطة) دخول الشيء بعضه في بعض

و (القلعطة) الجعودة

و (قفطل) الشيء إختطفه

و (القرقمة) ضؤولة الجسم ودقة العظام لتقارب نسب أبويه وفي كلام بعض العرب والله ما أحسن **الرطانة** وإني لأرسب من حجر وما قرقمني إلا الكرم و (تقرقم) الوحشي في وجاره تقبض

و (قرقست) بالجرو دعوته

و (قرضم) الشيء أخذه وبالصاد كسره

و (تقرعث) تجمع

و (القعثلة) جرفك الشيء بسرعة

و (قرنس) الديك فر من ديك آخر

و (قرطمت) الشيء قطعته

و (القهوسة) عدو الفزع

و (القعسبة) مثله

(القعطبة) القطع

و (تقعوش) البيت انهدم و (بالسين) كذلك أيضا

(و تقعوش تأخر

و (القرصعة) الانقباض والاستخفاء وهي القرمطة أيضا

والمشية القبيحة

و (قرزم) الشاعر إذا لم يجد في شعره

." (١)

٧١. "ظلت آدابها فرائض وقد كانت وما بالعهد من قدم نوافل ومن حليها أجياد اللهجات عواطل اللهم إلا بقية ثمد قد منيت صحفها الأود ففقدت الجلد والجلد وبعد أن راج سوق **الرطانة** ونضب ماء الإبانة وخبت أنوار البلاغة وزوت أنوار النباعة وكسد البيان وقوض منه البنيان وأصبحت العربية لقى ملقاه وبضاعة مزجاه فأي هذا اليراع لا أقل من نفثات في صوغ كليمات تقدر هذه النعمة قدرها ويمنحها شكرها.

ويحك هب من سنتك في حلية مقتك وانض حسامك واشحذ كهامك وانشل كنانتك وأعمل بنانتك وصغ إن استطعت تمائئ غرا بل عقودا درا بل أنجما زهرا مشتارا منن خلايا ذلك الأري الشهي الندي الذكي ما جرست نحلة الشيح والخزامى وأطايب الثمار وأزاهي الأزهار تهديهن أولئك المصاقع شكرانا لتلك النعم تجميعا لشواردها وتقييدا لأوابدها." (٢)

٧٢. "٤٢ – رزيق بن عبد الله الشاعر لا نعرف عنه اكثر مما ورد في الخريدة وقارن ب:

اماري: المكتبة الصقلية ٥٩٧

عباس: العرب في صقلية ٧١

٤٣ – أبو محمد عبد الله بن مخلوف الفأفاء لا نعرف عنه اكثر مما ورد في الخريدة وقارن ب:

اماري: المكتبة الصقلية ٥٩٧

٤٤ – أبو حفص عمر بن حسن ابن السبطرق لا نعرف عنه اكثر مما ورد في الخريدة وقارن ب:

اماري: المكتبة الصقلية ٥٩٧

٤٥ – أبو حفص عمر بن خلف بن مكي (ت ٥٠٢) ابن دحية: المطرب ٨٨

القفطي: انباه الرواة ٢: ٣٢٩

سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ق ١: ٥٧

الذهبي: مختصر الانباء (المكتبة الصقلية ٦٤٦)

---

(١) تهذيب كتاب الأفعال ٣٠/٣

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب عبد الرحمن النحلاوي ١٥١/١

ابن مكثوم: تلخيص الانباء ١٦٠

ابن خلدون: العبر (المكتبة الصقلية ٤٨٥)

السيوطي: بغية الوعاة ٣٦١

البغدادي: هدية العارفين ١: ٧٨٢

عبد الوهاب: مقدمة الجمانة في ازالة **الرطانة**

عباس: العرب في صقلية ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١٨١، ١٩٥

زيزيتانو: تاريخ الادب العربي في صقلية ٦٧٦١

زيزيتانو: مقدمة تثقيف اللسان

الكعاك: الحضارة العربية ١٣٤

. ٧٩٦: ٢:

٤٦ – أبو علي حسن بن عبد الله الطرابنشي سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ق ١: ٥٨

ابن سعيد: الالحان المسلية (الذكرى المئوية ١: ٢٩٩)

. ٨٠٠١٤٨: ٢:." (١)

٧٣. "ضيف: شوقي

١٣٠ – ابن زيدون

سلسلة نوابغ الفكر العربي، القاهرة

طوقان: قدري حافظ (١٣٩٠)

١٣١ – تراث العرب العلمي في الرياضيات والفكر ط اولى القاهرة

عباس: احسان

١٣٢ – العرب في صقلية

ط القاهرة ١٩٥٩م

١٣٣ – تاريخ الادب الاندلسي

أعصر سيادة قرطبة

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ج ١٧ العماد الأصبهاني ٦٨٣/١٨

ب عصر الطوائف والمرابطين

ط بيروت ١٩٦٠ ١٩٦٢م

عبد الوهاب: حسن حسني (١٣٨٨)

١٣٤ – الاستيلاء الاسلامي على صقلية ط تونس ١٩٠٥م

١٣٥ – الجمانة في ازالة الرطانة

ط اولى تونس ١٣٤٣هـ

١٣٦ – المجمل في تاريخ الادب التونسي

ط تونس

١٣٧ – خلاصة تاريخ تونس

ط رابعة تونس ١٩٧٠م

١٣٨ – ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ط تونس

١٣٩ – شهيرات التونسيات

ط ثانية تونس

عنان: محمد عبد الله

١٤٠ – تراجم اسلامية شرقية وغربية

ط القاهرة ١٣٦٦هـ." (١)

٧٤. "التقليدية تحتم أن يدرس كل شيء باللاتينية، وكان يخصص أحد الطلبة لكي يتجسس على زملائه ويضبط من تسول له نفسه أن يتحدث بالإنجليزية بدلا من اللاتينية! أما الأكاديمية التي تعلم بها ديفو فقد ضربت بهذه التقاليد البالية عرض الحائط، ونظرت إلى الرطانة اللاتينية باستخفاف، واهتمت بدلا منها باللغات الحديثة والعلوم والمواد الاجتماعية.

ومن الطريف أن ديفو قد تعلم الاختزال في أكاديميته، أما المعامل والمتاحف والمضخات والأجهزة وغيرها، فقد كانت من أهم مستلزمات الدراسة في الأكاديميات لأن الطبيعة والفلك والكيمياء كانت علوما أساسية. وهكذا أتيح لديفو برنامج تعليمي حديث بعكس البرامج التعليمية الشكلية الجافة في

(١) خريدة القصر وجريدة العصر جـ ١٧ العماد الأصبهاني ١٨/٧٥٤

المعاهد الأخرى وكانت هذه الدراسة خير تمهيد لتخريج مثل هذا الصحفي العبقري، والذي تفوق في فنون الأخبار، وابتكر فن التحقيق الصحفي واكتشف فن الحديث الخاص أو المقابلة الصحفية، وبرع في كتابة المقال الافتتاحي، وتفوق على معاصريه في فن المقال الاقتصادي والتجاري.." (١)

٧٥. "كان كنعان قد أصر علي أن أرافقه إلى البيت، وكنت أريد أن أشاهد اسطنبول ليلا، وأن اذرع بعض شوارعها وأرى بعض مآثرها، فأصررت على عدم الاستجابة لطلبه.وراح يعرض علي البرنامج كالتالي: نذهب إلى الأستاذ فرنجي لنتسلم منه هدية هيأها لك، ثم نعود إلى الفاتح نصلي المغرب، ونتجول في المدينة ونصلي العشاء، ثم نقصد إلى البيت، وعند منتصف الليل ننتقل إلى المطار. وتفاوضنا طويلا لتعديل البرنامج، وهكذا توجهنا إلى مسجد أبي أيوب الأنصاري.. الحركة قلت لكن هناك أفواجا من الزائرين ما زالوا يتوافدون على المزار. طيلة الطريق وكنعان يتخير لي اللحن الموسيقي الذي يناسب مزاجي وأنا أطوف أحياء اسطنبول، عينات من اللحون استمعنا إليها لكنني كنت أطلب المشجي.. لا عجب، فأنا عربي وقد كانت العرب تشجيها ألحان العجم، ولذلك مازجت الإيقاعات الفارسية والتركية والبربرية لحونهم وغطت عليها، كانوا يصمون غيرهم **بالرطانة** في الخطاب ويعترفون لهم بالفصاحة في التلحين. وأخيرا وقع لي صوت قلت له هذا هو، دعه يحرك سواكني في هذا الأصيل الغارب. أوقفنا سيارتنا ومضينا نمشي، إننا في طريقنا إلى أبي أيوب، إن كنت صادقا فإن نفس الشعور الذي يستولي علي كلما كان يذكر أمامي اسم الأنصاري هو نفسه الشعور الذي يستولي على هؤلاء المتجهين إلى روضته، نفس الحنان الذي يتملكك وأنت في طريقك لزيارة جدك أو عمك المعمر. في أعماقك يستقر إحساس بأنك ستغنم كرعة من الحب والأنس والارتياح البهيج. هل هناك تحفظ يمكن أن ينغص على المرء سعادته وهو يزور جده الذي تربى في حجره؟ كذلك كنت أحس وأنا أقترب من الضريح. الروح تتواصل مع هذه الرموز العتيدة بلا تحفظ، لأنها تجد صلة النسب بينها وبينهم عميقة وأصيلة وقائمة بقوة لا إله إلا الله. أية أبوة أعظم وأصلب من أبوة الروح؟ كانت الروضة مغلقة، لكن الزوار وقفوا يرتلون ويدعون من حيال النافذة، قرأنا الفاتحة واستمددنا الرحمات، ثم تحولنا إلى." (٢)

(١) دراسات في الفن الصحفي محمد إسماعيل المقدم ص/٤٣

(٢) رسائل عن النورسية ١٣٢/٨

٧٦. "فتقول: الآن علمت صدقك وتحامل أبي أيوب عليك. ولي صديق من كلاب " حلب " حرسها الله، يخرج إلي في الليالي المقمرة، وبينه وبين بعض كلاب الصيد مودة. فألق إلي ما تريد، ألقه إلى الكلب الحلبي، يلقه الكلب إلى صديقه من الكلاب الصائدة، يلقه ذلك إلى البازي فيبلغ لك ما في نفسك.

فيقول: جزيت خيرا. إن إسنادك لبعيد، وقد يئست من بلوغ الأمنية واليأس إحدى الراحتين، وصبرت على أمر الله لأني سمعت في الكتاب الكريم: " واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ".

ويجيء الثعلب واردا، فيقول وقد كان بلغه ما في نفس الشاحج: السلام عليك، إن لك معي بشارة، وذلك أني صحبت في بعض الطرق رجلا من الشركاء في هذا القراح، فسمعته يحدث رفاقه أنه قد عزم على تضمينه لأن الفائدة عدمت فيه إلا للمباشر عمله بنفسه.

فيقدر الله سبحانه على أن ينطق الشاحج فيقول: ما لخالقك من غالب، فبورك صباح الثعالب. ما زلت ميمونا من رهط ميامين، فعمر بك ناديك، ولا فقد خيرا واديك؛ وسكنت في أرض كثيرة الوجر والدحال، ييأس الكلب الصائد أن يصل بها إليك، ومنعك فيها الضراء والأشب من أن يطمع فيك جارح من الطير؛ وساعفتك الثرملة، ولا نأت عن وجارك سملة؛ ومرت بفنائك الرطانة وقد نهق منها بعير بل وقص، فتركوه في أرضك لتأنق في غريض من اللحم مصيفك، وتدخر للشتاء ما شئت؛ وغفل عنك حافظ المكثوءة حتى تلج وأنت آمنت فتصيب من القشعر والحدج ما تريد؛ ورقد ناطور الجنة عنك حتى تمكن في رأد نهارك من وفر وين كدوارع المدام وملاحي القرطة في آذان الكواعب ذوات الخدام ولو قبلت كلاب المصر وصيتي لأوصيت لك بأطيب بضعة مني، لا بل بالثلث من لحمي ولكنها جشعة حريصة لا تقبل وصاتي. وأما الضبع فأكره أن تصيب مني شيئا لأنها حمقاء مومسة، لا آمن أن تطعم بضيعي سلقا يعرض لها بالعهار، لأنها إحدى المومسات. وكأني بها تزاحم الكلاب على أوصالي.

وإن فعلت ذلك فقبلي ما خشيها فتيان القوم، قال " مالك بن نويرة ":

لهفاه من عرفاء ذات فليلة ... تأتي إلي على ثلاث تخمع

وتظل تنشطني وتلحم أجريا ... وسط العرين وليس حي يدفع

لو كان سيفي باليمين ضربتها ... عني ولم أؤكل وجنبي الأضيع

هذا الضياع فإن حززت بمدية ... كفي فقولي هين ما تصنع

وقال آخر:

وجاءت جيأل وأبو بنيها ... أحم الماقيين له خماع

بليل ينبشان الترب عني ... وما أنا ويب غيرك والضباع

فبينما الشاحج يناجي الضابح، سمعا لجة في المصر

فيقول الشاحج

ألا تعلم لنا الخبر يا ثعال؟ فمضي ثعالة مبادرا، ثم لا يلبث أن يعود فيقول: العامة يخبرون أن زعيم الروم قد نهد إلى أرض المسلمين.." (١)

٧٧. "الحق، وقد كللت محل الصيحة، ومتنزل النقمة، ومصرع الفئة الكافرة الباغية، أفواج من عصايب الطير، تتداعى الجفايا، وتتنادب للوليمة العظمى، ولحقت عمد الدخان لأعنان السماء، ونادت ألسنة الحمية في تلك العرصات يالثارات الأسرى، واستباحت سيوف الله من النسم آلافا عدة، ومن الحماة أولى بأس وشدة، أعيا حديثها النقل، فاثتمنت علية النار، وأعجزت طعمتها الظهر، يوكل بها الانتساف والتبار، وألصقت جدرانها بوجه الثرى، وأهلك ما خرب من زرعها ونأى. والخير لا ينوب عنة كل المناب عن المرأى، أوزع الله شكر النعمى، وكتب للإسلام حسن العقبى. وظهر المسلمون من البقر على آلاف ملأت السروج، وغصت ببراذنها ومراقدها الحزون والسهول. وأما سايمة الغنم، فعاثوا منها فيما لا يكتب ولا يحصى ولا يعد، وباء المسلمون بشفاء الصدور وسرور القلوب، وقرة العيون، وقد ... ... للأخذ بترابهم من لا ينام عن الدمنة ن ولا يصانع في رعى الذمة. وجاست خيل الله من أحواز حمص، أعادها الله بإمدادكم، ومؤمل جهادكم، الجو الذي لم يطرق لهذا الوقت حماه، ولا عرف اسمه فرضا عن مسماه، سوق عصية السوايم وتكتسح المسارح، فلا تترك لسع هجمة، ولا نافخ ضرمة، وتذعر غاراته المشعلة الأسراب، وتتخلل عمرته وسواده الشعاب، ومن بها من الفرسان والأعيان، أولى القدور الراسبات، والزغب الكاسيات، والأتباع والأشياع، **والرطانة** والجعجاع، قد لاذوا على وفور عددهم بالأسوار، وأيقنوا بالبوار، وطرقتهم الغارة،." (٢)

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٧٤

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٥٧/١

٧٨. "ع وبعده:

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه ... بيت أطافت به خرقاء مهجوم

يعني الظليم والنعامة. والصعل: الدقيق العنق الصغير الرأس، يعني بيتا من وبر أو شعر لم تحسن هذه الخرقاء عمله، فاسترخت عيدانه وأطنابه. ومهجوم: ساقط مهدوم.

وذكر أبو علي قول الأعرابي: والله ما أحسن **الرطانة**

هذا يقوله أبو الذيال شويش الأعرابي العدوي، قال أنا ابن التأريخ، أنا والله العربي المحض، لا أرقع الجربان، ولا ألبس التبان، ولا أحسن **الرطانة**، وإني لأرسب من رصاصة، وما قرقمني إلا الكرم. قوله أنا ابن التأريخ يعني أنه ولد عام الهجرة. وإني لأرسب من رصاصة: يريد أنه أعرابي بدوى من أهل الوبر لامن أهل المدر ولا ساكني الأمصار، التي لا تكون إلا على الأرياف والأنهار، والأعرابي إذا قال قدمت الريف فإنما يريد الحضر. قال الأصمعي قيل لذي الرمة: من أين عرفت الميم لولا صدق من نسبك إلى تعليم أولاد العرب في أكتاف الإبل، فقال والله ما عرفت الميم إلا أني قدمت من البادية إلى الريف؛ فرأيت الصبيان وهم يجوزون بالفجرم في الأوق، وساق الحديث على ما ذكره أبو علي قبل هذا. وقوله ما قرقمني إلا الكرم: يعني أن أباه طلب المناكح الكريمة، فلم يجدها إلا في أهله، فجاء ولده ضاويا، ومنه الحديث اغتربوا لا تضووا، وقال الشاعر:

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد القرائب." (١)

٧٩. "ابنها:

٩٩ - عمرو بن الزبير *

يروي عن: أبيه.

وفد على معاوية، وكان بينه وبين أخيه عبد الله بن الزبير شر وتقاطع.

وكان بديع الجمال، شديد العارضة، جريئا، منيعا.

كان يجلس، فيلقي عصاه بالبلاط (١) ، فلا يتخطاها أحد إلا بإذنه، وله

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٨٧١/١

= من طريق الفضل بن دكين، وهشام أبي الوليد الطيالسي بهذا لاسناد، وأخرجه البخاري ١٠ / ٢٣٦ في اللباس: باب الخميصة السوداء من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، و١٠ / ٢٥٦: باب ما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا من طريق أبي الوليد الطيالسي، كلاهما عن إسحاق بن سعيد به.

وأخرجه أيضا ٦ / ١٢٨ في الجهاد: باب من تكلم بالفارسية والرطانة، وفي الأدب: باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به ١٠ / ٣٥٦ من طريق حبان بن موسى، عن عبد الله، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، عن أم خالد، وأخرجه ٧ / ١٤٥ في فضائل أصحاب النبي: باب هجرة الحبشة من طريق الحميدي، عن سفيان، عن إسحاق بن سعيد، عن أبيه، عن أم خالد، وأخرجه أبو داود (٤٠٢٤) من طريق إسحاق بن الجراح، عن أبي النضر، عن إسحاق بن سعيد ... وقوله: " أبلي " هو بفتح الهمزة وسكون الباء وكسر اللام أمر بالابلاء، وكذا قوله " أخلقي " بالقاف، أمر بالاخلاق، وهما بمعنى، والعرب تطلق ذلك، وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي: أنه تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق.

قال الحافظ: ووقع في رواية أبي زيد المروزي عن الفربري: " وأخلفي " بالفاء وهي أوجه من التي بالقاف، لان الأولى تستلزم التأكيد، إذ الابلاء والاخلاق بمعنى، لكن جاء العطف لتغاير اللفظتين، والثانية تفيد معنى زائدا، وهو أنها إذا أبلته أخلفت غيره، ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه أبو داود (٤٠٢٠) بسند صحيح عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا، قيل له: تبلي ويخلف الله.

(*) طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٥، نسب قريش: ١٧٨، ٢١٤، ٢١٥، المحبر: ٣٠٤، ٤٨١، جمهرة أنساب العرب: ١٢٥، تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٢٢٠ آ، تاريخ الإسلام ٣ / ٥٤، العقد الثمين ٦ / ٣٧٨.

(١) البلاط: الأرض، وقيل الأرض المستوية الملساء، وفي معجم ياقوت: والبلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة.

وقد تحرف في =." (١)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ابن ثرثال ٤٧٢/٣

٨٠. "يسافر قط «١» لما رأى مصلحته فى الأقامة (ورق ١٣٩ ب) وكان يذكر الناس فى الجامع العتيق حسبة لله تعالى بعبارة قريبة من الأفهام مفيدة للخواص والعوام بعيدة عن التقعير «٢» والتشدق والرطانة والتفهق «٣» لا ينظر الى قلة الناس وكثرتهم ولا يبالى بأعراضهم ورغبتهم بل يبلغ احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كل طالب صائم «٤» ويجاهد في سبيل الله ولا يخاف لومة لائم، ولما فشا فى شيراز كتب اهل الاعتزال شد الرحال وعزم على الارتحال «٥» وقال انا لا اسكن بلدة يفشو فيها كلمات المعتزلة وخزعبلات المبطلة فبلغ خبره الى الأتابك «٦» فمنعه عن ذاك وامر الناس بمدارسة كتب اهل السنة ومجانبة الضلال والبدعة، وله كرامات كثيرة وتأدب به خلق كثير توفى فى سنة خمس وثمانين وستمائة «٧» رحمة الله عليهم.

٢٣٠ - الامير ناصر الدين يحيي بن عبد الله العلوى

ولده العالم الفاضل الجامع بين المعقول والمنقول ولى قضاء شيراز بالنيابة

---

(١) - كلمه «قط» در ب ق موجود نيست،

(٢) - كذا فى ق، ب م: التقصير.

(٣) - كذا فى ب، ق: المتفهق (بدون نقاط سه حرف اول)، م: التهنق،- «تفهق فى الكلام وتفهق ى توسع فيه وتنطع قال الفرزدق:

تفيهق بالعراق ابو المثنى ... وعلم قومه اكل الخبيص

» (لسان العرب)،.

(٤) - كذا فى ب ق، م: هائم،- صائم در اينجا بمعنى تشنه است ومهموز العين است از صئم وربطى بصوم اجوف بمعنى روزه گرفتن ندارد قال فى القاموس فى ص أ م: «و صئم كعلم اكثر من شرب الماء والصائم العطشان».

(٥) - ب: «و عزم الارتحال»، وهو صحيح ايضا يقال عزم الأمر وعليه عزما آهنگ نمود ودل نهاد وكوشش كرد (منتهى الأرب).

(٦) - كدام اتابك؟ صاحب ترجمه كه در سنه ٦٨٥ وفات يافته با تمام اتابكان فارس از اتابك ابو بكر بن سعد بن زنگى تا آخرين ايشان ايش خاتون معاصر بوده، ولى ظاهرا مقصود همان اتابك ابو

بكر بوده چه اوست چنانكه در ص ۳۰۷ حاشيه ۸ طرفى از آن‌گذشت كه خود را متصلب ومتشدد در امور دينى قلم ميداده،

(۷) – چنين است در م ونيز در شيرازنامه ص ١٥٦، در ق ب جاى آحاد وعشرات اين تاريخ خالى است.." (۱)

٨١. "بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وتشديد الراء وضمها، وهو بلغة **الرطانة** من أعاجم الأندلس، ومعناه بالعربي الحديد– ابن أبي القاسم خلف بن أحمد الإمام أبو

محمد وأبو القاسم الرعيني الشاطبي المقرئ الضرير، أحد الأعلام.

ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة، وقرأ بها القراءات وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي العاص النفزي المعروف بابن اللايه الشاطبي، ثم ارتحل إلى بلنسية، فعرض بها القراءات، وكتابه «التيسير» من حفظه، علي أبي الحسن علي بن محمد بن هذيل، وسمع الحديث منه ومن أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد ابن عاشر، وأبي عبد الله بن حميد، وارتحل ليحج، فسمع من أبي طاهر السلفي وغيره.

واستوطن القاهرة، واشتهر اسمه، وبعد صيته، وقصده الطلبة من النواحي.

وكان إماما علامة ذكيا، كثير الفنون، منقطع القرين، رأسا في القراءات والتفسير، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية واللغة، واسع العلم، وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الأماني وعقيلة أتراب الفضائل اللتين في القراءة والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء، ولقد أبدع وأوجز، وسهل الصعب. ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت من حفظها أحاط علما بكتاب «التمهيد» لابن عبد البر.

روى عنه أبو الحسن بن خيرة، ووصفه من قوة الحفظ بأمر معجب، وقرأ عليه بالروايات عدد كثير، منهم: أبو موسى عيسى بن يوسف المقدسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعي، وأبو عبد الله الكردي، وأبو." (۲)

٨٢. "فوافقه / على ذلك وأعطاه جهة الحسيان في القولة المروية، كما أعطاه من خدامه رجلا بأهله يقال له يحي (كذا)، لخدمته وذريته يقال له بنوا يحي، فانتقل الأصفر لسيرات البرجية ومعه خديمه يحيي

---

(۱) شد الأزار في حط الأوزار عن زوار المزار ص/۳۲۹

(۲) طبقات المفسرين للداوودي الذُّهْلي، محمد بن يحيى ٤٤/٢

(كذا) ثم مات الأصفر وبقي ابناه أبو نقاب جد النقايبية وبغداد جد البغاديد، فبقي النقايبية بالوطاء وبقي بالجبل البغاديد.

تنبيه: أصل البرجية من مدينة برجة أحد (كذا) مدن الأندلس في صحيح الأقوال، وجاء أسلافهم منها في وقت السلطان الزياني أبو يحيى يغمراسن بن زيان أول ملوك بني زيان بالاستقلال، وذلك في القرن السابع من الهجرة النبوية، الموافق للقرن الثالث عشر من السنين المسيحية، فسكنوا بمدينة السمار من نواحي يلل ثم انتقلوا لمدينة تافسرة من نواحي القلعة، ثم انتقلوا لمدينة البرج فسكنوها وشيدوا بها برجا، فسميت المدينة به خرجا، وكان الذي أتى من برجة وبنى البرج بقال له عياش، وأولاده يقال له (كذا) العيايشة و

أولاد عياش، واستخرج به عينا لشرب المدينة في غاية الحلاوة تسمى بعين عياش، ويقال لها **بالرطانة** زنادي ومعناها عذبة الماء المهضمة للمعاش، ومدينة البرج هي سدس هوارة كما في الصباغ والحاوي، وأرضها رملة توافق الغراسة لبرودتها فيما للراوي، ولما جاء الأصفر واستقر بها ثم ذهب لسيرات، ذهب معه بعضهم وبقي البعض بالبرج فيما للروات، فصار نصفهم بالجبل ونصفهم بالوطاء للآن، والبرجية مهمى قيل بهم فهم أهل سيرات والحيطية وأولاد رياح والتمازنية وجبوشة وأولاد سيدي أعمر وأولاد سيدي عبد الرحيم وحلوية والكرارمة والكرابشية بغاية البيان، ونسبهم الآن للبرج لا لبرجة، ومنهم القاضي بالمغرب بقوت (كذا) الدولة المرينية كثيرة الخرجة، وهو العلامة أبو القاسم البرجي الذي جاء رسولا من عند المريني لأبي حمو موسى الأوسط الزياني، على شان الصلح بين الدولتين فأبر ووافقه على ذلك السلطان الزياني، قاله السيد محمد الصغير في كتابه: ظهور سعود الدراري، في أخبار المرحومين قدور بالمخفي والحاج محمد المزاري. ولما مات أبو نقاب خلف أربعة أولاد وهم دنون والغرمول والمختار والصحراوي بتحقيق المراد.

فدنون تولى من (كذا) ذرية مصطفى ولد سعيد ويعرف بولد حمروش في." (١)

٨٣. " (٥٤٢ ابن صورة الكتبي) ناصر بن علي بن خلف الوجبة المعروف بابن صورة الكتبي | كان سمسارا في الكتب بمصر وله في ذلك حظ كبير وكان يجلس في دهليز داره لذلك ويجتمع الناس عنده يوم الأحد والأربعاء من أعيان الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده إلى

---

(١) طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ٣٢٨/٢

انقضاء وقت السوق | توفي سنة سبع وستمائة بمصر ودفن بالقرافة وكان له دار مليحة موصوفة بالحسن فاحترقت فقال في ذلك نشو الملك أبو الحسن علي بن المنجم وقد تقدم ذكره ٪ (أقول وقد عانيت دار ابن صورة ٪ وللنار فيها مارج يتضرم) ٪ ٪ (كذا كل مال أصله من مهاوش ٪ فعما قليل في نهابر يعدم) ٪ ٪ (وما هو إلا كافر طال عمره ٪ فجاءته لما استبطأته جهنم) ٪ | وقال ابن المنجم أيضا لما وقعت الأرضة في دار ابن صورة ٪ (قالوا بدار ابن صورة سعت ٪ الأرضة حتى اتت على الخشب) ٪ ٪ (من أعلم الأرضة المشومة ٪ أن الدار مسروقة من الكتب) ٪ | وفيه يقول ابن الساعاتي وقد غدر به في الكتاب ٪ (يا خائنا ما كنت احسبه ٪ يخف إلى الخيانة) ٪ ٪ (أصبحت في سلب القلوب ٪ وذاك من عدم الديانة) ٪ ٪ (كفتي زبيد في العمارة ٪ وابن صورة في الأمانة) ٪ ٪ (فامرر عليه وقل له ٪ في الستر منه والصيانة) ٪ ٪ (يا ريشكون غدرت بي ٪ إن كنت تحسن **بالرطانة**) ٪ (٥٤٣ - ابن الشقيشقة الصفار) | نصر الله بن مظفر بن أبي طالب بن عقيل بن حمزة نجيب الدين أبو الفتح الشيباني الدمشقي الصفار المعروف بابن الشقيشقة المحدث الشاهد | ولد سنة

٨٤. ________________________

٨٥. ". (١)

٨٦. "ب- إشراب النفوس عقدية الأمل في النجاح، وإزالة ما حل بها من اليأس.

ج- دعوتهم إلى التمسك بالأصول التي كان عليها أسلافهم، وهي ما تمسكت به الدول الأجنبية العزيزة الجانب.

ج- الدفاع عما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم، وإبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون في المدنية ما داموا متمسكين بأصول دينهم.

هـ- تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية، وتمكين الألفة بين أفرادها، وتأمين المنافع المشتركة بينها، ومناصرة السياسة الخارجية التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين.

وكان جمال الدين يعتز بشرقيته وبلغته، ويشمئز من هؤلاء الذي يتنكرون لقوميتهم ولغتهم؛ فإن هذا التنكر يساعد المستعمر، بل هو أثر من آثار تعاليمه يرمي بها إلى الحط من شأن كل ما هو شرقي،

---

(١) فوات الوفيات ط-أخرى ابن شاكر الكتبي ٢/٥٤٢

ولإضعاف لغة القوم، والتدرج بقتل التعليم القومي، وتنشيط القائلين من الشرقيين بأن ليس في لسانهم العربي أو الفارسي أوالأردي أو الهندي آداب تؤثر، ولا في تاريخهم مجد يذكر": لقد بلغ ببعضهم السفه "أن ينفروا من سماع لغتهم، وأن يتتباهوا بأنهم لا يحسنون التعبير بها، وأن ما تعلموه من **الرطانة** الأعجمية هي منتهى ما يمكن الوصول إليه من المدركات البشرية".

وقد عرفت فيما سبق كفاحه في سبيل حرية الشعوب، ومطالبته بنظام الشورى، ووقوفه أمام الحكام المستبدين كالجبل الأشم في جرأة وعزة نفس، واستنهاضه الهمم، كي تقوى دولة إسلامية تكون النواة التي يلتف غيرها حولها، وبذلك يعاد مجد الإسلام قويا أمام مطامع الغرب وعسفه.

ولقد كان جمال الدين عالما ومفكرا وفيلسوفا ومصلحا اجتماعيا، أشرب قلبه حب بلاده ودينه، وأرسله الله في هذه الحقبة من التاريخ ليبدد دياجير الجهل ويبعث الحمية في النفوس.." (١)

٨٧. "(يأيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا)

(أنظر ثلاث خلال قد جمعن له ... هل سب من أحد أوسب أو بخلا)

ثم دار حول الرافقة ثم انصرف وجلس مجلسه وحضرنا وأحضرت رقاع وقصص فجعل يوقع فيها وأنا أحصى فبلغت صلاته إلفي ألف وسبع مائة ألف زيادة ألف ألف على ما وصل أبوه ثم ألتفت لي مستطعما لكلامي فدعوت له وحسنت فعالة ثم اتبعت ذلك بأن قلت لكنه سرف. فقال: السرف من الشرف. السرف من الشرف. كررها فقلت: إني كنت أسقطت عند ذي اليمينين وحدثته الحديث فما زال يضحك.

حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد المهلبي قال: حدثني يحي بن الحسن بن علي بن معاذ بن مسلم قال: إني كنت بالرقة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة إذ دعوت بغلام لي فكلمته بالفارسية فدخل العتابي وكان حاضرا في كلامنا فتكلم معي بالفارسية. فقلت له: أبا عمرو مالك وهذه **الرطانة؟** . قال: فقال لي: قدمت بلدكم هذه ثلاث قدمات وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو، وكانت الكتب سقطت إلى ما هناك مع يزد جرد فهي قائمة إلى الساعة. فقال: كتبت منها حاجتي ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشر فراسخ إلى قرية يقال لها ذودر فذكرت كتابا لم أقض حاجتي منه فرجعت إلى مرو فأقمت أشهرا. قال: قلت أبا عمرو: لم كتبت كتب العجم؟ فقال لي: وهل المعاني

---

(١) في الأدب الحديث إبراهيم محمد أبو سكين ٢٧٧/١

إلا في كتب العجم والبلاغة. اللغة لنا والمعاني لهم ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيرا.
قال: وحدثني عبد الغفار بن محمد النسائي. قال: حدثني أحمد بن حفص بن عمر، عن أبي السمراء قال: خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر حتى إذا كنا بين الرملة ودمشق إذا نحن بأعرابي قد اعترض فإذا شيخ فيه بقية على بعير له أورق فسلم علينا. فرددنا عليه السلام. قال أبو السمراء: وأنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقي، وإسحاق بن أبي ربعي ونحن نساير الأمير وكنا يؤمئذ أفره من الأمير." (١)

٨٨. "ونظر رجل إلى معاوية وكان صغيرا فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند: ثكلته أمه إن كان لا يسود إلا قومه. ورأى رجل ابن السكيت وهو صغير يسأل فيجيب، فقال: إن هذا الغلام ينال خيرا وقد تقدم في الحزم والتعلم مثل هذا.

كلمات من **الرطانة** «١»

بعث امرؤ القيس إلى امرأة تزوج بها بثلاثين شاة وزق خمر، فذبح الغلام في الطريق شاة وأكلها وشرب بعض الزق فلما أوصلها، قالت له: قل لزوجي إذا أتيته سحيما كان قدر، ثم وإن رسولك جاءنا في المحاق. فلما أتاه الرسول وأخبره، قال: يا عدو الله أكلت شاة وشربت من رأس الزق فاعترف بذلك.
وأسر بنو ساسان رجلا من بني العنبر، فقال: دعوني أرسل إلى قومي ليفدوني.
فقالوا: على أن لا تكلم الرسول إلا بحضرتنا. فقال: نعم. وقال للرسول: قل لهم إن الشجر قد أورق وإن النساء قد اشتكت. ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم. فقال: ما هذا الوقت؟ قال: الليل. قال: قل لهم عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء، واسألوا حارثا عن أمري. وكان الحارث صديقا له.
فذهب الرسول إليهم فدعوا حارثا فسألوه. فقال: قوله الشجر قد أورق، أي تسلح القوم، واشتكت النساء: أي اتخذت القرب للماء. وقوله: ما هذا الوقت؟ فقال الليل فإنه يقول أتاكم جيش كالليل وقوله عروا جملي الأصهب، أي ارتحلوا عن الصماء واركبوا ناقتي الحمراء أي انزلوا الدهناء. فرحلوا من ساعتهم فصبحهم القوم فلم يجدوا أحدا وكان العطاردي، لما رجع إلى قومه رمى إليهم بصرتين في إحداهما شوك وفي الأخرى تراب، فقال قيس بن زهير هذا رجل مأخوذ عليه بالحلف وهو ينذركم عدوا وشوكا. قال الله تعالى: وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم

(١) كتاب بغداد ابن طيفور ص/٨٧

«٢» .

وأسرت طيء غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه. فقال أبوه عنده: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبلي طيء، ما عندي غير ما عرفتكم، ثم انصرف. وقال: لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه، كأنه قال الزم الفرقدين على جبلي طيء ففهم الابن كلامه. فطرد إبلا من إبلهم ليلته، ونجا بها.

وكان داريوس ملك فارس، لما سمع بخروج ذي القرنين «٣» بعث إليه بدرة وكرة ياقوتة وجراب سمسم وتابوت مملوء من الذهب. وكتب إليه: إنما بعثت بهذا لا جرب عقلك، فقال له الإسكندر: قد عرفت لماذا بعثت. أما الدرة فتزعم أنك سوط تشير علي.

وقلت يجتمع لي ملكك اجتماع هذه الكرة في يدي. وذكرت أن لك في أمري ضياء كضياء." (١)

٨٩. "الصقع السادس من أصقاع الإسلام وهو خراسان

ذكر مشاهير الصحابة بخراسان

قال الشيخ الامام أبو حاتم رحمه الله أما خراسان فهو اسم يقع على بلدان العجم جملة وان كان كل ناحية منها لها اسم منفصل تعرف به لان كل بلد الغالب على أهله **الرطانة** فهو داخل في جملة خراسان كما أن كل بلد الغالب على أهله العربية فهو داخل في جملة بلدان العرب فكما لا يخرج تباين اللغات بين القبائل وبلدان العرب بعضها عن الاسم الواقع عليها كذلك لا يخرج سائر اللغات في الفارسية من أهل البلدان التي يسكنها العجم عن الاسم المشتمل عليها وان كانت خراسان ما بين الجبال إلى النهر في الحقيقة كما أن حقيقة ديار العرب وسط الاقليم الاول والثاني فمن الصحابة الذين سكنوا البلدان التي وصفتها وماتوا بها بعد أن استوطنوها رحمة الله علينا وعليهم أجمعين في العافية

[٤١٤] بريدة بن الحصيب بن عبد الله الاسلمي من المهاجرين الاولين ممن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه المدينة ولحق به فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم دخول المدينة قال بريدة لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ثم حمل عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي صلى الله عليه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/١٨١

وسلم يوم قدومه المدينة كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان انتقل إلى البصرة وأقام بها زمانا ثم خرج إلى." (١)

٩٠. "وقوله (١) :

كما خامرت في حضنها أم عامر ... لدى الحبل حتى عال أوس عيالها وقوله في الرخمة؟ ونفى عنها الحمق ونسبها إلى الكيس (٢) :

وذات اسمين والأسماء شتى ... تحمق وهي كيسة الحويل

لها خب تلوذ به وليست ... بضائعه الجنين ولا مذول ومثل هذا كثير في شعره وهو يشير إلى بداية الوعي بقيمة الخرافات الحيوانية، والتنبيه لا لاستعمالها في الشعر وحسب، بل اعتمادها في المواقف المختلفة.

ويبدو أن الحكم من نثر إلى شعر يتم على نطاق واسع، وأول الشواهد عليه انتشار عدد كبير من الأقوال الحكمية المنظومة التي بقيت في المصادر دون نسبة، وإن كان الظن قويا بأن القسم الأكبر منها قد ألحق بشعراء عرفوا بهذا الاتجاه، وكانوا كثيري العدد في هذه الفترة التي أتحدث عنها.

وهذا يسلمنا إلى الحديث عن التيار الثالث، وهو تيار أشبه شيء بالانتحال وليس به، ويمكن أن نسميه تضمينا أو اقتباسا، للحكم الأجنبية، عن طريق الغوص العامد في الثقافات الأجنبية، وشدة الإعجاب بها، ولعل في صلة أبي عمرو كلثوم بن عمرو العتابي بالفارسية ما يصلح أن يتخذ نموذجا لغيره، وخلاصة قصته أن رجلا اسمه يحيى بن الحسن دعا غلاما له وكلمه بالفارسية، ودخل العتابي فسمع ما يتحدثان به فكلم يحيى بالفارسية، فقال له: أبا عمرو، ما لك وهذه **الرطانة؟**! فقال: بلدكم هذه ثلاث قدمات، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو، ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشرة فراسخ إلى قرية يقال لها ذودر فذكرت كتابا لم أقض حاجتي منه، فرجعت إلى مرو فأقمت شهرا، فقال له يحيى: لم كتبت كتب العجم؟ فقال العتابي: وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة، اللغة لنا والمعاني لهم (٣) . فإذا عرفنا بعد ذلك أن العتابي أفرد فنون الحكم

---

(١) الدرة الفاخرة: ١٥٢.

---

(١) مشاهير علماء الأمصار ابن حبان ص/١٠٠

(٢) الدرة الفاخرة: ١٥٤ والحيوان ٧: ١٨.

(٣) كتاب بغداد: ٨٧.." (١)

٩١. "يغادر التلميذ مقاعد الدراسة في المرحلة الإبتدائية –غالبا– وهو لا يعرف أن يفرق بين أنواع الفعل، أو قد لا يفرق بين الاسم والفعل! يرفع من صفه إلى صف آخر، ولما تكتمل عنده أركان اللغة الأساسية كالقراءة، والكتابة،والتحدث، والاستماع، والفهم والاستيعاب! بل يغادر المرحلة الثانوية ومستواه في القراءة متدن، أقل مما ينبغي! حتى إن أمالي الدارسين في المستوى الجامعي تنم عن ضعف وقصور في تلك المادة، وما ندوة ظاهرة الضعف الإملائي التي عقدت في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ ما يقارب الخمس سنوات إلا لتنفخ في صور المجتمع ليهب لعلاج تلك الفادحة! أسباب عدة تكالبت على أبنائنا، ليسيروا دفعا لا اندفاعا. أصابع عدة تشير إلى المنهج، وأخرى تشير إلى الطالب نفسه، وأخرى إلى المدرس وطريقة التدريس ..

أليس من الإجحاف أن يوعز تدريس اللغة العربية في بعض المدارس الإبتدائية لمدرسين غير متخصصين.؟! كأن يوجه أحدهم إلى منطقة يرغبها ويشترط عليه تدريس اللغة العربية.؟! والضحية هو التلميذ الضاحك الباكي! في تلك المرحلة الأم، القاعدة الأساس!

إن أهم ما يمكن أن نسعى إليه هو إخراج أطفالنا من هذه الدائرة الضيقة المؤلمة وهي دائرة الفراغ اللغوي،ينتقل الطفل إلى كل مراحل عمره حتى يصل إلى الشيخوخة وهو لا يجيد الحديث والتعبير.؟! مأساة متلفعة بأثواب غليظة يجدر بنا معالجتها وعن كثب، والنفوذ إلى شغافها لاجتثاث تلك الظاهرة النشاز.

لنمضي بإذن الله والحق أبلج نعالج فرضا قبل أن نبدأ النفل).

فهد بن علي الغانم، مجلة المعرفة، العدد (٥٧).

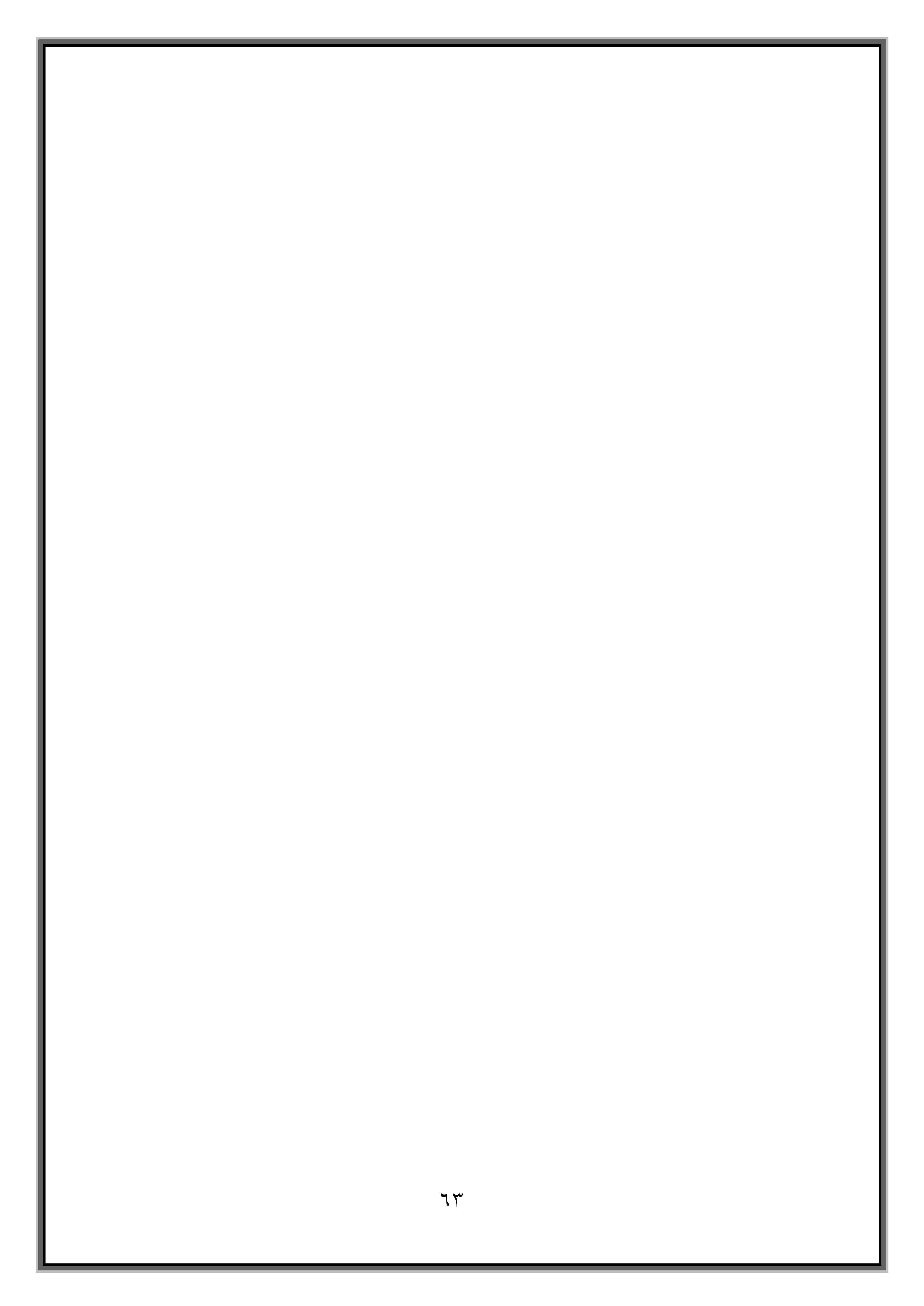
من **الرطانة** إلى المسخ

محمد بن حامد الأحمري (البيان / ٥٤):." (٢)

---

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي   إحسان عباس ص/١٣٥

(٢) ملف عن تدريس اللغة الإنجليزية في المراحل الابتدائية   سليمان الخراشي ص/١١



٩٣. "نبيل، بويع بالخلافة في شرقي الأندلس، وخطب باسمه، ثم خلع. ورحل في آخر عمره إلى كتامة وتوفي بها. وسبب توليته ان مجاهدا صاحب دانية قدمه أن يكون " أمير المؤمنين " في مملكته ثم خلعه ونفاه (١) .

ابن عتيك

(٠٠٠ - ١٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٣٣ م)

عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري: صحابي، من القادة. شهد أحدا وما بعدها. واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. وقيل: بعدها. قال المقريزي: كان يرطن باليهودية (٢).

أبو بكر الصديق

(٥١ ق هـ - ١٣ هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤ م)

عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة.

وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد ابن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة. وكان موصوفا بالحلم والرأفة بالعامة،

---

(١) الصلة ٢٦٤.

(٢) إمتاع الأسماع ١: ١٨٦ و ١٨٧ والاضابة، ت ٤٨٠٧.." (١)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٠٢/٤

٩٤. "وتذكر مقدمة الملف الثاني بأن الملف الأول عالج إشكاليات نقد أيديولوجيا الحداثة في علاقتها بمسائل العقلانية والعلمانية والميتافيزيقا والدولة والسيطرة والعقل الأداتي. وترى في أنموذج الحداثة العربية أكبر عائق أمام استملاك الحداثة الفعلية، لأنه أعاد إنتاج ما عمل على تقويضه، وانتهى إلى عكس الأهداف التي انطلق منها ... وقد نعت هذه الحداثة معجم وصفي دلالي خاص في استخداماتنا بأسماء مثل الحداثة المغدورة والمبتورة والمهمشة وغير المنجزة معبرا عن الحس بمأزقها، وعن الأمل في تملك الحداثة الفعلية أيضا!

ما الحداثة الفعلية إذا؟ وكيف تمتلك؟ وهل هناك حداثة عربية حقا؟ وأية حداثة هي هذه الحداثة العربية؟

إن ملف الحداثة ملف مهم وخطير، كملف النهضة، وبخاصة عندما يتم تناوله في إطار موضوعه العربي، كموضوع أنجز، وينجز، ولا يزال قيد الإنجاز. ولعل الخطاب النقدي الذي ينتمي إليه يعيد النظر في مفهوماته وقضاياه، وينتج سؤاله العربي الذي يضطر إلى استعارة أسئلته وأجوبته من حداثة غرب هي حداثة العالم!.

إن نقد الحداثة الذي يتقنع على هيئة مشروع حداثة عربية مفترضة ما يزال أسير حداثة الآخر يحتشد بألفاظ وأسماء وأشكال ورطانات وادعاءات، وكأن حداثة هي شبه حداثة تفرز نقدا هو شبه نقد، لم يتدرب على امتلاك حداثته! وإذا تدرب على امتلاكها فليستدعي بعض أنموذجات تراثية من الأصول يرى فيها صورة سابقة لحداثة الآخر. وكأنه يخرج الحداثة من تاريخها، أو يستعير بعض مفهومات حداثة غربية يرطن بها!

تتحول الحداثة في الغرب، وتفتتح دائما احتمالات وإمكانيات لتجاوز ذاتها بنقدها، وتنجز من داخلها أفقا يدعى الآن ما بعد الحداثة، كجزء من نقد الحداثة لذاتها، وكجزء من تحرر الحداثة وتحريرها!." (١)

٩٥. "العرب والمصريين والفرس والروم. أما تسميتهم باسم البربر فالمظنون أن الرومان–وربما اليونان–هم الذين أطلقوه عليهم أخذا من الكلمة الإغريقية Barbarus ومعناها الأجنبى الذى يرطن بلغة غير مفهومة، إذ كانت لغة البربر–بالنسبة للرومان واليونان–أصواتا مبهمة، والكلمة بهذا المعنى الإغريقى تلتقى بمعنى البربرة فى العربية وهو التمتمة بالكلام بحيث لا يفهمه السامع.

(١) النقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة ص/٨٥

وظل البربر لا يتصلون بالشعوب القديمة آمادا طويلة حتى إذا كان القرن العاشر قبل الميلاد أو قبله أو بعده بقليل كان فينيقيون من سكان لبنان–وكانوا شعبا ملاحيا–يجوبون الساحل الإفريقى بحثا عن مواضع يتبادلون فيها سلعهم وعروضهم مع البربر، وأعجبتهم تونس، فنزلوا بها، ومع مر عشرات السنين اتخذوا لأنفسهم فيها موطنا ومركزا لتجارتهم، إذ أسسوا فيها مدينة قرطاجة بالقرب من مدينة تونس الحالية، واستوطنها كثير من أسرهم الفينيقية، وأنشئوا بها دولة وجيشا منهم ومن البربر، وقد امتزجوا بهم وصاهروهم وعلموهم الملاحة والتجارة وتبادل السلع وفلاحة الأرض وغرس الأشجار، ونقلت إليهم قوافلهم المتعمقة فى السودان كثيرا من الزنوج، وفسحوا لبعض اليهود فى النزول بمدينتهم. وبذلك أصبح يوجد فيها لعهدهم أربعة عناصر من السكان: عنصر بربرى من سكانها الأولين وعنصر فينيقى وعنصر زنجى وعنصر يهودى، ويدور الزمن وتستولى روما على قرطاجة، وتبنى من أنقاضها قرطاجة جديدة، وتستوطنها أسر رومانية كثيرة، وتضيف القوافل زنوجا جددا كثيرين إلى البلاد، ويفد عليها منذ سنة ٧٠ للميلاد بعد تحطيم الإمبراطور تيتوس لمعبد بيت المقدس أسر يهودية كثيرة. ويدور الزمن دورة ثانية وتستولى جموع الواندال على تونس سنة ٤٣٩ للميلاد، ويظلون بها حتى سنة ٥٣٤ مضيفين إلى البلاد عنصرا ألمانيا جديدا، ويخلفهم البيزنطيون حتى سنة ٦٤٧ مضيفين بدورهم العنصر البيزنطى الإغريقى.

ثم يكون الفتح العربى، وتظل تقدم إلى القطر التونسى جيوش لإكمال الفتح أو للقضاء على بعض الثورات طوال القرن الأول الهجرى، وتخمد ثورات البربر ضد الإسلام والعرب، وتشتعل فى القرن الثانى ثورات الخوارج من البربر. وتظل الدولتان الأموية والعباسية ترسلان الجيوش لإخمادها، وكثير من جنود هذه الجيوش استقر فى إفريقية التونسية وأصبحت مستقرا له منذ أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان فى سنة ٥٠ هـ/٦٧٠ م فقد سكنها بعض الجنود الفاتحين وأسرهم واتخذوها موطنا لهم ومقرا. وأخذ كثير من جنود هذه الجيوش يسكن فى بعض بلدان تونس عاملا على نشر الإسلام والعربية. وكانت هذه الجيوش تضم عناصر من العرب ومن البلاد الإسلامية المفتوحة: إيران وسكان الرافدين فى العراق والشام ومصر وكل هذه العناصر أخذت تمتزج بالبربر فى تونس امتزاجا سريعا بحكم ما يجمع بينهم من الدين واللغة." (١)

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف أحمد شوقي ١٤٢/٩

٩٦. "فنقول له : أجهدت نفسك ياشيخي نم قليلا..

فيقول : الناس محتاجة لمن يفتيها وأنا أنام؟؟

هات التلفون .. فيرغمنا على إحضاره ونحن نشفق عليه من التعب ..

من المواقف التي حصلت لنا تلك الأيام ..

من عادة شيخنا أن يتصدق على فقراء الحرم من الأفارقة وغيرهم ..

وهذا ما يفعله كل عام .. وعرف الناس عنه ذلك ..

فطلب مني أنا والأخ علي أن نستقبل الطلبات وندون الأسماء ونجردها ..

وحينما جاء يوم التوزيع وهو قبل العيد بيوم تقريبا ..

تجمهر عدد هائل من الأفارقة وغالبهم من المفتولين وأصحاب الأجسام الضخمة وقوية البنية .. وكان لهم جلبة وضجيج فكنا ننادي على الأسماء فيدخل الشخص لداخل الغرفة ويستلم ما ييسره الله له ..

غير أن الأمر خرج عن السيطرة ولم نقدر على ترتيبهم وتنظيمهم ..

وتدافع الناس واختلط الحابل بالنابل وخفنا على الشيخ وهو لوحده في الغرفة ولم يشعر بما يحصل في الخارج ..

فجهدنا أنا وعلي أن ندخل الغرفة وبالكاد دخلنا ..

وأردنا أن نغلق الباب حتى يقل عدد الناس ويسهل تنظيمهم ..

ولكن المشاغبين لم يرقهم هذا التصرف فدفعوا على الباب حتى كادوا أن يخلعوه

حينها جاء شيخنا ورأى بنفسه الحال ..

فقال: خلاص أوقفوا التوزيع !!

لا يمكن أن نعطي الناس بهذا الشكل..

ولكن كيف سنغلق الباب .. فنحن اثنين نقف أمام مئات ..

فحاولنا جاهد ين أن نغلق الأبواب فلم نقدر .. بل تدافع الناس ودخل عدد منهم في داخل الغرفة ..

حينها استشط شيخنا غضبا .. وتقدم بنفسه ووقف أمام رجل أفريقي ضخم الجثة عظيم الرأس مفتول العضلات .. فوقف شيخنا أمامه ولا يكاد يصل بطوله لنصف جسده !!

وهو النحيل ضعيف البنية فأمره بالخروج !!

فكأن الإفريقي لم يفهم ولا يتكلم اللغة العربية ..

فقال له الشيخ : أخرج يارجل ..

فما تحرك من مكانه وصار **يرطن** بكلام لا نعيه ..

فحاول الشيخ دفعه وفحص في الأرض بقدميه والرجل ثابت كالجبل الراسي." (١)

٩٧. " الغريب إلا في النادر وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل ويميلون إلى استعمال الغريب وإذا نظرت إلى أهل مكة وكلام قريش الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث رسول الله من أرومتهم وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كأن البادي **يرطن** بالنسبة إلى الحاضر ويتكلم بلغة غير العربية وكانت لغة رسول الله التي يتكلم بها على الدوام ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز إلا أنه أوتي جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم ويخاطبهم في الكلام الجزل على قدر طبقتهم

٩٨. فمن ذلك كلامه لطهفة النهدي وكتابه إلى بني نهد وذلك أنه لما قدم وفود العرب على النبي قدم عليه طهفة بن أبي زهير النهدي فقال أتيناك يا رسول الله من غور تهامة على أكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستجلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستخيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد جف المدهن وييس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك ". (٢)

٩٩. "الغريب إلا في النادر؛ وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل ويميلون إلى استعمال الغريب؛ وإذا نظرت إلى أهل مكة وكلام قريش الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرومتهم، وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز، علمت فرق ما بين الكلامين، وتباين ما بين الطرفين، حتى كأن البادي **يرطن** بالنسبة إلى الحاضر، ويتكلم بلغة غير العربية؛ وكانت لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يتكلم بها على الدوام، ويخاطب بها الخاص والعام، لغة قريش

---

(١) رحلتي إلى النور ص/١٣٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ط- أخرى القلقشندي ٢/٢٦٠

وحاضرة الحجاز، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية، فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم، ويخاطبهم في الكلام الجزل على قدر طبقتهم.

فمن ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم لطهفة النهدي وكتابه إلى بني نهد، وذلك أنه لما قدم وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه طهفة بن أبي زهير النهدي، فقال: أتيناك يا رسول الله من غور تهامة على أكوار الميس «١» ، ترتمي بنا العيس، نستحلب الصبير «٢» ، ونستجلب الخبير «٣» ونستعضد البرير «٤» ، ونستخيل الرهام «٥» ، ونستخيل الجهام «٦» ؛ من أرض غائلة النطاء «٧» ، غليظة الوطاء؛ قد جف المدهن «٨» ، وييس الجعثن «٩» ؛ وسقط الأملوج «١٠» ، ومات العسلوج «١١» ؛ وهلك." (١)

١٠٠. "أحد الأقاليم، وحينئذ يرى من إكرامهم وتنعيمهم له بإشتراكه معهم فيما هم عليه ما يقربه عينا من القنص واللهو واللعب والمراكب والمآكل والمشارب والمنازه حتى يكون لبعض هؤلاء العلية مراكب خاصة في طريق الحديد محتوية على سائر اللوازم يسيرون بها إلى حيث أرادوا، ويولونه أي الضيف من ملاطفة نسائهم وإكرامهن له بإعطاء قدح الشاي من يد العناء ما هو عنه في غناء من المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة لديهم كعدم التهوع ولا حك جهة من بدنه ولا التدخين، ومن عجيب أطوارهم فيه التناقض التام فبعض نسوتهم يكرهون شم أثره على الثياب وبعضهن يدخن كالرجال ولن ترى من واحد من هؤلاء ذوي الملايين أو آلاف الملايين يتكرم بشيء ذي قيمة ونهاية التوادد بالهدية هي صورته أو ما شاكلها مما قيمته إذا تناهت تبلغ ألف فرنك، بل كاد أن لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء إلا أن يكون لرياء أو سمعة، فلو مر أحدهم على فقير يتضوع جوعا لما رأى له من داع إلى مرحمته حيث أنه يعلم أنه يعطى سنويا إلى ديار الفقراء مقدارا من المال، فلا يهمه أن يكون ذلك الفقير الذي يراه في حالة النزع من البرد أو الحر أو الجوع أنه لم يمكن له الوصول إلى تلك الدار أو أنها لم يكن فيها سعة لقبوله.

وأقول أن هاته الخلة كادت أن تكون عامة في أوروبا إلا قليلا منهم فإنهم يجرون على حسب مكارم الأخلاق، وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في همج الفرنسيس، سواء كان من جهة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٦٠/٢

الإعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فيتطيرون من أشياء كادت أن لا تحصى وينقادون إلى السحرة والدجالين بما يخرج عن حد المعقول، وكاد التعلم أن يكون عندهم مجهول لإسم فضلا عن المسمى سوى ما يرطن لهم القسوس في الكنائس، ومن هذا القبيل اعتقاد عامة أهل أرلانده أن انقطاع الحيات من جزيرتهم بسبب قسيس مع أنها أفقدها الثلج والبرد مع عدم الإتصال بالقارة حتى يخلفها غيرها ولهم في ذلك خرافات، والحاصل أن صفة الإنكليز على الإجمال هي السكون والرزانة والتجافي عن الغريب إلا بواسطة في التعرف حتى لو بقي بين أظهرهم سنين لا يكاد أن يقول له واحد أسعد الله صباحك، كما أن من طبعهم الإقبال على الشغل والجد فيه وعدم الإيمان بالقدر حتى إذا يئس أحدهم من المال قتل نفسه، فكثيرا ما تسمع بذلك وبقتل الآباء لأولادهم وكذلك الأمهات والعكس، ومما يحصل عندهم من الوقاحة أحيانا مضاجعة الأب إبنته والأخ أخته لكنه لم يسمع بمضاجعة الابن أمه، ومنها أيضا بيع الزوج زوجته لمن يحبها ويمضي لهم الحكم ذلك فأعجب لقوم يحتسبون على بيع الرقيق في الآفاق ويحكمون بصحة بيع الزوجة بفلس أو فلسين لأن الطلاق عندهم له شروط، وهي ثبوت الفاحشة من الزوجة لدى الحكم.

ومن غريب الوقائع في هذا الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وغيرها، من أن زوجة أحد اللوردات ولدت وعندما بشرت بأنها ولدت ذكرا قالت من." (١)

١٠١. "والفشل والجبن سببان من أسباب الخذلان فمن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لأن الله معه ومن صبر على حد السيوف فإنه إذا قدم على الله تعالى أكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه الله يحب الشاكرين قال وما زال خالد رضي الله عنه يقول: هذا الكلام لأهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم أن خالدا جمع إليه خيل المسلمين من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربعة ارباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادي وقال له: أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسي وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف.

قال الواقدي: فلم تطلع الشمس إلا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الأرمني فإنه أمر الروم بالزينة والأهبة للحرب ففعلوا ذلك إلا أن المسلمين كانوا اسرع في التعبية قال وزحف الروم إلى

---

(١) صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار ٢٠٧/٢

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم إلى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفا كالبنيان المرصوص وكان الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب في قلوبهم ثم أن ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام في مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليبا من الفضة وزنه خمسة أرطال وهو مطلي بالذهب وفي أربعة أركانه أربع جواهر تضيء كأنها الكواكب.

قال الواقدي: حدثني سنان بن أوس الربعي قال حدثني عدى بن الحرث الهمداني وكان ممن حضر الفتوح من أولها إلى آخرها قال وكانت الصفوف التي صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الإنجيل ويترنمون وأكثر من الرايات والأعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم وإذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفي عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون إنه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج إليه فصاح خالد وقال: يا أصحاب رسول الله هذا العلج الأغلف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فإن لم تخرجوا إليه وإلا خرج خالد وهم بالخروج وإذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن في رجال خالد من يعرف الفارس الذي خرج فقال خالد لهمام مولاه: أخرج إلى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أي.." (١)

١٠٢. "الدوار وكل شيء عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بأيديهن أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقاء هان عليه ما يلقى فحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الأجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم وإياكم أن تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار في جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم في فعلهم واسمعوا ما نزل في القرآن من أجلهم.

: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي

---

(١) فتوح الشام الواقدي ١٨٢/١

شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥] سيروا فقد سبق المفردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢] قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول: أنا خالد ابن الوليد فبرز إليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالد ويهمهم وخالد في القتال لا يشعر به ولا يدري ما يقول: فعندما سمعه يرطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما في أشد القتال إذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الواقدي: وخالد يقول: حي حي فعلا البطريق على ظهر خالد في عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتي رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بني مخزوم وناوله إياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت في مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتي فقال خالد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق راسه في حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لي ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت: أتبرك بها يا رسول الله واستعين بها على القتال قتال أعدائي فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدمة قلنسوتي فلم ألق جمعا قط إلا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه أخرج السيف من علائقه وانسر من بقي من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم إلى البراز فلا يخرج إليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخزومي فقال لأبي عبيدة: أيها الأمير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه فلم لا أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة إليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يريح نفسه فقال خالد: أيها الأمير أما والله لأطلبن الشهادة بكل وجه فإن أخطاتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه في حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلب الروم على." (١)

١٠٣. "البطريق قيدمون

قال الواقدي: وكان هرقل حين بعث ولده فلسطين إلى قيسارية بعث معه بطريقا من البطارقة وكان

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢١٠/١

اسمه قيدمون وكان من أفرس الروم ويقال انه خال فلسطين وقد كان لقي عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة قال: وكان اللعين يحفظ سائر اللغات فقال فلسطين لا بد لي من قتال العرب قال: وخرج وعليه لامة وخرج مبارزا فلما رآه المسلمون قد خرج وكأنه جبل قد انحد من أعلاه إلى أسفله وهو يلمع من بريق الجوهر ضج المسلمون بقول لا إله إلا الله فلما وقف في الميدان أقبل يرطن بلغته ويطلب." (١)

١٠٤. "الفضل بن العباس وجعل في الميسرة أبا ايوب الانصاري وجعل في القلب القعقاع بن عمرو التميمي.

قال: حدثنا قيس بن عبد الله قال: حدثنا مالك بن رفاعة عن سعيد بن عمرو الغنوي قال حضر أرض البهنسا عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم سبعون بدريا والأمراء وأصحاب الرايات نحو ألف وأربعمائة ودفن بأرض البهنسا من الصحابة والسادات نحو خمسة آلاف وسيأتي ذكر ذلك أن شاء الله تعالى.

قال الراوي: وكان على الرجالة معاذ بن جبل وعلى الساقة والنسوان والصبيان سعد بن عبد القادر والضحاك بن قيس قال: وصار الأمير عياض يتخلل الصفوف ويقول الله الجنة تحت ظلال السيوف يا أهل الإسلام اعلموا أن الصبر مقرون بالفرج وإن الله مع الصابرين والصابرون هم الغالبون وإن الفشل سبب من أسباب الخذلان فمن صبر على حد السيف فإذا قدم على الله أكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب الصابرين وصار يقول ذلك لاصحاب الرايات قال: وما فرغ الأمير عياض من تعبية الصفوف إلا وعساكر البطليوس والروم قد أقبلت ومعهم النصارى والفلاحون والعرب المتنصرة وأمامهم صليب من الذهب الأحمر زنته خمسة أرطال وفي أربعة جوانبه أربع جواهر كالكواكب.

قال: حدثني سنان بن الحرث الهمداني عن شداد بن أوس وكان ممن حضر الفتوح إلى آخرها قال: وأقبلت الصلبان وأنا أعدها صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا تحت كل صليب ألف ومعهم القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل وأكثر أعداء الله في عسكرهم من الرايات والاعلام فبينما الناس كذلك إذ اقبل بطريق وعليه درع مذهب ولامة حرب وهو يرطن بلغته وطلب البراز فبرز إليه القعقاع وتعاركا وتجاولا ثم طعنه القعقاع في صدره فأطلع السنان يلمع من ظهره فخرج علج آخر وقد غضب

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢/٢١

لقتل صاحبه وكان من أصحاب الجلوس على السرير مع الملك وطلب البراز فبرز إليه رجل من الأزد فمنعه الأمير عياض من ذلك وقال اذهب فلست كفؤا له قال فبرز إليه المسيب بن نجيبة الفزاري وضربه فتلقاها العلج بحجفته فطار السيف من يده وضرب العلج المسيب فضيعها ونظر أن أحدا يناوله سيفا فلم يجد فأراد الرجوع وإذا بالقعقاع بن عمرو أقبل وبيده سيف فناوله إياه فكر راجعا وضرب البطريق على عاتقه الايمن فأطلع السنان من عاتقه الايسر فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال وعدو الله البطليوس راكب على جواد أهداه له صاحب صقلية والبربر يساوي خمسمائة دينار وكان أيام الحصار يصعد به ويرمح على أسوار المدينة وسيأتي ذكر ذلك أن شاء الله تعالى في." (١)

١٠٥. "القتال وعدو الله كراكر عليه ديباجة حمراء مقصبة بالذهب تلمع من فوق الدروع وعلى رأسه بيضة عليها جوهرة تضيء كالكواكب وهو يهدر كالجمل الهائج وهو يرطن بلغته وخلفه جماعة والذين على الاسوار يصيحون ويزعقون بشعارهم ويضربون بقرونهم وبوقاتهم وطبولهم وأوقدوا مشاعلهم من أعلى السور حتى بقي مثل النهار هذا وقد ثارت الأمراء أصحاب النجدة وذوو المروءات واعتقلوا بسيوفهم وركبوا خيولهم فمنهم من ركب جواده عريانا ومنهم من ركب بسرج بعير لجام ومنهم من أسرع ماشيا فلله در الفضل بن العباس وابن عمه الفضل أبن أبي لهب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبي سفيان والقعقاع بن عمرو والمسيب بن نجيبة الفزاري والمغيرة ومسلم وأبي ذر الغفاري وأبي دجانة وأبي أمامة وغفار بن عقبة وأبي زير العقيلي ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء عظيما وطعن جماعة من المسلمين وجرح جماعة من المسلمين.

وأما الذين هاجموهم في أول الوقعة فقتل منهم جماعة نحو المائتين وثمانين رجلا واقتتل الناس قتالا شديدا وأقبل الفضل بن العباس إلى البطريق كراكر لعنة الله وضربة بالسيف على عاتقه الايمن فأطلع السنان يلمع من عاتقه الايسر فوقع يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وأتبعه بالجملة ابن عمه عبد الله ابن حجفر فقتل بطريقا آخر ولم تكن إلا ساعة وقد جاءتهم بقية الأمراء من على أبوابهم وتركوا مكانهم من يثقون به وساروا إلى أن وصلوا إليهم وحملوا عليهم حملة منكرة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحو من ثلاثة آلاف من الروم والنصارى فلما رأى الروم ذلك فروا نحو الباب وتبعهم المسلمون

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢/٢٦٢

إلى الباب فخرج كردوس عظيم الروم وحموا المنهزمين وأسر المسلمون من الروم نحو ألف ومائتين وخمسين واتوا إلى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فإذا هم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فلما رأى المسلمون ذلك شق عليهم وكبر لديهم وأسرعوا تحت الليل وجمعوا الشهداء ودفنوهم في ثيابهم ودمائهم في مكان يعرف بالبطحى عند مجرى الحصى ومنقع السيل فدفنوهم هناك كل اثنين وكل ثلاثة وكل أربعة وكل خمسة في قبر وقدموا أهل السابقة وأصحاب القرآن وكان يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء الاخيار والدعاء هناك مستجاب مجرب مرارا وتحط هناك الاوزار لمن يكثر من الدعاء والتطوع والاستغفار.

قال الواقدي: ما حدثت في هذا الكتاب إلا على قاعدة الصدق وأذكر ما وقع من الامور وحدث عن أصحاب التواريخ وثقات المحدثين من أصحاب السير ومن سماع كلامه كالدر فهذا كالعقد النفيس في السلوك والتأسيس لا يليق سماعه إلا لذوي البصائر والعلماء والملوك فإنه نزهة الناظر ويشرح الخاطر لم يجمع أحد مثله من أهل." (١)

١٠٦. "والسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير صاحب التصانيف النافعة

منها سبل السلام ومنحة الغفار والعدة على العهدة وقد ذكر في حرف الهمزة.

والقاضي محمد بن علي الشوكاني ذكر في صنعاء وهو صاحب نيل الأوطار وفتح القدير وغيرهما.

وفضلاء اليمن وأئمتهم وأعلامهم كثيرون لا يتسع هذا الكتاب لتعدادهم، وقد ذكرنا من ذكرنا في مواضعهم من هذا الكتاب.

ومن شعر قبائل اليمن الحميني:

يقول أبو مطلق الاسماء من الطلسم ... والشعر منسوخ والنساخ نساني

قولي هلالي وقلبي دائما مغرم ... لازال مفتون بحب الغيد ولهاني

وعاد قصة جرت لي عند شاطي اليم ... نظرت حوري خرج غاني فأغواني

أين الطريق قال قل لي قلت له ما أعلم ... ذا بحر أم سيل أم هي دمع أعياني

من تيه حسنه نظرت البحر كالخاتم ... ولا افتهم لي أنا في أي الأوطان

قربت باخاطبه واني بليد اعجم ... مدهوش مربوش من منقوش الابنان

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢٧١/٢

أوميت له وإن ذا يرطن ويتكلم ... رطين هندي ويتكلم بسرياني
قده كما الغصن يتغنى ويترنم ... دنت وذلت لقده كل الاغصان
وطارح اسيان منسوجة على السمسم ... وحاجب ابلج وغرة بدر شعبان
وأعيان حمرا سواجي مشرغة بالدم ... يذوب الصخر من تفتير الأجفان
والأنف كالسيف جارد له على المبسم ... يحمي رحيق الثنايا مبسم الغاني
قلت اسقني من شفاتك خلني باطعم ... قالوا بثغرك عسل صافي وعقيان
وفك الازرار مرادي شم نهدك شم ... واقبلك بين هذا الكعب والثاني
اغنم زمانك أمانة واحبيب اغنم ... ما دام عادك صغير السن طيشان
أخشى عليك بعد ستة عشر تندم ... تنسى شبابك وتنسى أهلك وتنساني
جوب عليا وقال قلبي من العندم ... سكران حيران مفتونا وفتان
إذا بلغت الثلاثين اسلب العالم ... وفي ثمانين عام أسجع على الحاني
ألم تر البدر في أيام يتلثم ... ويختفي في حجابه فهو لي ثاني
فقلت بالله حب الليم ذا من كم ... أرجم بحبه جبا يا قرة اعياني
وشل لك مور والزهرة إلى المهجم ... والباجلية وغانم ثم قحطان
وبيس وابا عريش يا خل ثم أسلم ... وأرض دهمة ونهمة وأرض صعفان
ومن زبيد حيس خذها والمخا المحكم ... واحكم بما شئت أنت اليوم سلطاني
لكن واسعد لبو مطلق وقل له تم ... فيما طلبناك جزا الإحسان إحسان
وإلا جمعنا عليك أجناد ما ترحم ... ألفين خيال من صبيان قحطان
قبايلي ثم اخواني بني العم ... من نهد إلى نهد إلى قابس وشهران
نأخذك جبرا وإن سلمت باتسلم ... ما بك سخا يا حبيبي للتمحاني
من قال: إن الهوى باطل وقد حرم ... فقد شهد في كلامه زور بهتان
لولا الهوى ما خلق حوا لأبونا آدم ... وكون الله للخلان خلان
دعى دويدار عنده خاطبه وألزم ... يأتيه بأربعمائة حوران ولدان
ثم اعتلى فوق مهره خمرية ملجم ... تقلد السيف كأنه شيخ غيلاني
وقال يا من يباريني ويتقدم ... الرأس بالرأس والميدان ميدان

قلت الأمان الأمان ارفق بنا يا أخجم ... ذا جاهنا عندك أسعدنا بلقيان

وأزكى الصلاة والسلام في البدع والمختم ... على محمد وآله خير عدنان

تمت.." (١)

١٠٧. "يقول أبو مطلق الاسماء من الطلسم ... والشعر منسوخ والنساخ نساني

قولي هلالي وقلبي دائما مغرم ... لازال مفتون بحب الغيد ولهاني

وعاد قصة جرت لي عند شاطي اليم ... نظرت حوري خرج غاني فأغواني

أين الطريق قال قل لي قلت له ما أعلم ... ذا بحر أم سيل أم هي دمع أعياني

من تيه حسنه نظرت البحر كالخاتم ... ولا افتهم لي أنا في أي الأوطان

قربت باخاطبه واني بليد اعجم ... مدهوش مربوش من منقوش الابنان

أوميت له وإن ذا يرطن ويتكلم ... رطين هندي ويتكلم بسرياني

قده كما الغصن يتغنى ويترنم ... دنت وذلت لقده كل الاغصان

وطارح اسيان منسوجة على السمسم ... وحاجب ابلج وغرة بدر شعبان

وأعيان حمرا سواجي مشرغة بالدم ... يذوب الصخر من تفتير الأجفان

والأنف كالسيف جارد له على المبسم ... يحمي رحيق الثنايا مبسم الغاني

قلت اسقني من شفاتك خلني باطعم ... قالوا بثغرك عسل صافي وعقيان

وفك الازرار مرادي شم نهدك شم ... واقبلك بين هذا الكعب والثاني

اغنم زمانك أمانة واحبيب اغنم ... ما دام عادك صغير السن طيشان

أخشى عليك بعد ستة عشر تندم ... تنسى شبابك وتنسى أهلك وتنساني

جوب عليا وقال قلبي من العندم ... سكران حيران مفتونا وفتان

إذا بلغت الثلاثين اسلب العالم ... وفي ثمانين عام أسجع على الحاني

ألم تر البدر في أيام يتلثم ... ويختفي في حجابه فهو لي ثاني

فقلت بالله حب الليم ذا من كم ... أرجم بحبه جبا يا قرة اعياني

وشل لك مور والزهرة إلى المهجم ... والباجلية وغانم ثم قحطان

---

(١) مجموع بلدان اليمن وقبائلها (١٤٢٩) ٢/٨٠٠

وبيس وابا عريش يا خل ثم أسلم ... وأرض دهمة ونهمة وأرض صعفان
ومن زبيد حيس خذها والمخا المحكم ... واحكم بما شئت أنت اليوم سلطاني
لكن واسعد لبو مطلق وقل له تم ... فيما طلبناك جزا الإحسان إحسان
وإلا جمعنا عليك أجناد ما ترحم ... ألفين خيال من صبيان قحطان
قبايلي ثم اخواني بني العم ... من نهد إلى نهد إلى قابس وشهران
نأخذك جبرا وإن سلمت باتسلم ... ما بك سخا يا حبيبي للتمحاني
من قال: إن الهوى باطل وقد حرم ... فقد شهد في كلامه زور بهتان
لولا الهوى ما خلق حوا لأبونا آدم ... وكون الله للخلان خلان
دعى دويدار عنده خاطبه وألزم ... يأتيه بأربعمائة حوران ولدان
ثم اعتلى فوق مهره خمرية ملجم ... تقلد السيف كأنه شيخ غيلاني
وقال يا من يباريني ويتقدم ... الرأس بالرأس والميدان ميدان
قلت الأمان الأمان ارفق بنا يا أخجم ... ذا جاهنا عندك أسعدنا بلقيان
وأزكى الصلاة والسلام في البدع والمختم ... على محمد وآله خير عدنان
تمت.

ومن شعر قبائل اليمن أيضا:

قال ابن جعدان يا طرفي لم تسهر ... كن ما نظرته قبالك واعجبك شله
اترك هوى الصغر جمعه واعشق الأخضر ... وساير البيض والأحمر كذاك خله
ادكى مع الخضر قيل بينهم تستر ... والبيض يسلوك في السمرة وفي القيلة
واسمر مع البيض ما أحلى فيهم المسمر ... الشمع يحكي إذا شاف البها مثله
وعاد قصة عجيبة في حلا الأسمر ... رواه وشمه إشارة تبري العلة
هذا وهذا وهذا حبهم يسحر ... ومن حنب في هواهم ضيعوا عقله
من شافهم يقتلب عقله ويتحير ... يحس نفسه مضيع مثلما الأبله
يغوى طريقه وهو مسكين يتفكر ... وإن دخل با يصلي ضيع القبلة
الحب يا ناس كم أفنى وكم دمر ... لا ترحموا غير عاشق فارقه خله
لو كان تبدي ممالك بحرها والبر ... والأرض ما ظن تسوى واحدة قبلة

يأمر وينهى ويتولى من البندر ... دولة عظيمة وما أحد يعصى الدولة

يا كوكب الحسن يا بدر الدجى يا أسمر ... يا مخجل البدر بالأوجان والمقلة

وصلت إلى بابه المحروس أتخبر ... متى يواجه أبو مطلق يبا وصله

ما جيت إلا وقد قالوا لي استعذر ... ما عنده إلا حمام الدور تسجع له

وأربع تغني وخمس ابكار تتخطر ... وخمس إذا قام يلعب يزقموا حجله

فقلت قصدي أشاهد ذلك المحضر ... إن كان هذا ملك فالملك هو لله

قالوا لي اطلع وسلم واستقم واحذر ... تقعد ويعرف لما قد جيت من اجله

طلعت واني بوجه أبلج بها أنور ... لا لبس لحلة ذهب والطاس والحلة

ومرتبة طاس والكرسي من الجوهر ... رضوان لو شاهده لا كان يسجد له

فقلت يا سيد بك المملوك يتجور ... ارحم متيم يحبك نسألك بالله." (١)

١٠٨. "قال : قاسمته أملاكي ، وعلمته أورادي وأنساكي .

قلت : كيف تضل الناس ؟

قال : بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات .

قلت : وكيف تضل الحكام ؟

قال : بالتعطش للدماء ، وإهانة العلماء ، ورد نصح الحكماء ، وتصديق السفهاء .

قلت : فكيف تضل النساء ؟

قال : بالتبرج والسفور ، وترك المأمور ، وارتكاب المحظور .

قلت : فكيف تضل العلماء ؟

قال : بحب الظهور ، والعجب والغرور ، وحسد يملأ الصدور .

قلت : فيكف تضل العامة ؟

قال : بالغيبة والنميمة ، والأحاديث السقيمة ، وما ليس له قيمة .

قلت : فكيف تضل التجار ؟

قال : بالربا في المعاملات ، ومنع الصدقات ، والإسراف في النفقات .

---

(١) مجموع بلدان اليمن وقبائلها (١٤٢٩) ٢/٨٠١

قلت : فيكف تضل الشباب ؟

قال : بالغزل والهيام ، والعشق والغرام ، والاستخفاف بالأحكام ، وفعل الحرام .

قلت : فما رأيك في إسرائيل ؟

قال : إياك والغيبة ، فإنها مصيبة ، وإسرائيل دولة حبيبة ، ومن القلب قريبة .

قلت : فالجاحظ ؟ قال : الرجل بين بين ، أمره لا يستبين ، كما في البيان والتبيين.

قلت : فأبو نواس ؟ قال : على العين وعلى الرأس ، لنا من شعره اقتباس .

قلت : فأهل الحداثة ؟ قال : أخذوا علمهم منا بالوراثة .

قلت : فالعلمانية ؟

قال : إيماننا علماني ، وهم أهل الدجل والأماني ، ومن سماهم فقد سماني .

قلت : فما تقول في واشنطن ؟

قال : خطيبي فيها يرطن ، وجيشي بها يقطن ، وهي لي موطن .

قلت : فما تقول في صدام ؟

فهتف يقول : بالروح والدم نفديك يا صدام ، يسلم أبو عدي على الدوام .

قلت : فما رأيك في الدعاة ؟

قال : عذبوني وأتعبوني وبهدلوني وشيبوني يهدمون ما بنيت ، ويقرؤون إذا غنيت ، ويستعيذون إذا أتيت .

قلت : فما تقول في الصحف ؟

قال : نضيع بها أوقات الخلف ، ونذهب بها أعمار أهل الترف ، ونأخذ بها الأموال مع الأسف .

قلت فما تقول في هيئة الإذاعة البريطانية ؟." (١)

١٠٩. "فلما اقتربنا من تلك الولايات ، قرأنا بعض الآيات ، وأنشدنا شيئا من الأبيات ، وهبطنا في مطار جون كندي ، ودثرت من شدة البرد جسدي ، وأصبحنا من البرد في ثلاجة ، حين وصلنا ديار الخواجة ، وانتظرنا في صف عريض ، بين سود وبيض ، والجو من أفعال أولئك مريض ، ثم سمعنا أمريكيا يرطن ، يقول هيا إلى واشنطن ، فغادرنا المحل والسكن، وركبنا مع شركة بان أمركن ، فحززنا

---

(١) مقامات القرني عائض القرني ٢٨/٤

أجسامنا بالرباط حزا، وهزتنا الطائرة هزا ، لأن قائدها أهوج ، قلبه مثلج ، فكل راكب بالخوف مدجج ، فكأنها من الركاب فاضية ، ونادى بعضنا يا ليتها كانت القاضية ، أما الأمريكان ، فما كأن شيئا كان ، فهم في لهوهم يضحكون ، وإذا مروا بنا يتغامزون ، فما أدري ، والطائرة تجري، هل تعجبوا من جزعنا ، وسخروا من فزعنا ، وأنكروا هلعنا ، فليتهم يعلمون ، وعن غيهم يرجعون ، أن أجدادنا نحن أهل الوجوه الصفراء ، والغتر الحمراء ، كانوا بالتوحيد فاتحين ، وعلى أمواج البحار سابحين ، قلوبهم مصاحف ، وبيوتهم للفضائل متاحف ، يحملون الأرواح على السراح ، إذا نادى المنادي : السلاح السلاح ، أما علمتم أنا أتباع محمد، خير من تعبد ، وصام وتهجد ، ومنا الخلفاء الأصفياء ، الأوفياء الشرفاء ، ومنا العلماء الكرماء الحلماء ، والسادة أهل الإفادة ، والرفادة والوفادة .

نحن حملة المحابر ، وأصحاب الدفاتر ، ورواد المنابر ، فضحكوا ساخرين ، والتفتوا لقوم آخرين ، وقالوا قطعتكم الأماني ، وأشغلتكم الأغاني ، يا ضرابة العود ، ويا رعاة القعود ، ليلكم طرب ، ونهاركم لعب ، يا بلاد الفنانين والفنانات ، والمغنين والمغنيات ، الأحياء منهم والأموات ،.. قلنا كذبتم ورب المشارق والمغارب ، و لا يكتم الحق إلا كاذب ، أين أنتم يوم فتحت لنا السماء ، وكتب تاريخنا الحكماء ، يوم عشنا في العالم رحماء ، وحكمنا الدنيا حلماء ، وملأنا المعمورة علماء .

هل أشرق الفجر إلا من مآذننا." (١)

١١٠. "أمتهم، وأتقنوا وبرعوا في علوم ولغات وثقافة الغرب، فبنوا تلك القنطرة الواصلة بين الأصالة والتجديد، بين التراث والانبعاث.

وفي المغرب أجد أن الأستاذ الحاج امحمد أبا حنيني، ومن غيرهم ما شطط في الأحكام أو مبالغة في التقييم، أجده صرحا شامخا من صروح النهضة المغربية الحديثة، فهو يمثل جوهرها ويجسد فلسفتها، ويرمز إلى إشراقها.

والذين عرفوا الحاج امحمد أبا حنيني عن كتب وعايشوه عرفوا كم كان رحمه الله غيورا على ثقافة وحضارة بلده وشعبه، وكان أشد ما يكون حزينا حينما يسمع أحدا **يرطن** بالفرنسية ولا يفقه لغته الوطنية.

وكلكم تعرفون أية أناقة كان يتحلى بها أسلوبه حينما يكتب، إنك أمام أسلوبه المرصع، المتدفق، كالناظر لعقد اللآلئ الجميلة، كل لؤلؤة في مكانها، تعلن عن جمالها وتكشف عن لمعانها. ودائما كان

---

(١) مقامات القرني عائض القرني ٨٣/٥

يذكرني أسلوبه بصاحب الوزارتين، لسان الدين ابن الخطيب، وقد كان بالفعل لسان الدين ابن الخطيب عصره وأيامه، أعاد للعربية جمالها وأناقتها وقوة تعبيرها وإشراق معانيها. كان يكتفي بالكلمة والجملة احتفاءه بجلابته الأنيقة، نعم كان الحاج امحمد أبا حنيني نموذج المثقف العالم المغربي، في لباسه، في أناقته، في وداعته، في أدبه. وليس صدفة أنه ظل محافظا على لباسه الوطني طيلة حياته، لقد كان يبدو فيه بهيا، مهيبا، باعثا على الاحترام، وإن ربطة العنق تبدو من فتحتي جلابته عند صدره وكأنها إشارة إلى التجانس الذي يمكن للمثقف والإنسان عموما، أن يحافظ عليه بين الأصالة والمعاصرة، بين الشخصية الوطنية القوية والانفتاح المنتقى المنضبط.." (١)

١١١. "والانفعالية التي كانت تجمعه بمن يحب أو بمن يثيره، سواء عندما كان بين ظهراني أهله بالريف مجاهدا ومقاتلا، أو عندما كان منفيا في جزيرة لارينيون، أو عندما فضل الاستقرار بمصر. هذا ما أكده أبناؤه وحفدته وكل الذين عايشوه في أكثر من تصريح وحوار؛ وكما يقول الأستاذ محمد أونيا فإن "الرجل كان لا يشعر بأي امتعاض وهو يتخاطب بالريفية مع بني جلدته"؛

٤. يدرس اللغة الأمازيغية في مدينة مليلية لسنوات، ولم يصدر عنه أنه أحس بالدونية يوما وهو "يرطن" بهذه اللغة أمام جنيرالات ونخب المدينة، بل كان يعلمها لهم أيضا ويمنحهم النقط التي يستحقونها؛ وكان يكاتب طلبته النجباء ويشجعهم على التقدم في تعلم الريفية، فقد كتب في هذا الصدد رسالة إلى أحد تلامذته من الإسبان بمدينة مليلية يدعى "أنخيل مونيوز بوسكي" (Angel MUNOZ BOSKUE) يقول له فيها: "حمدا وصلاة، صديقي الأكرم سيد أنخيل مونيوز بوسكي، أراك تتقدم في تعلم اللغة الريفية ويسرني جدا أن أرى سيادتكم متمتعين براحة البال والسعادة والهناء والسلام. صديقك محمد بن عبد الكريم الخطابي".

٥. يعي أهمية اللغة والفروقات اللسانية بين الريفيين وغيرهم من ساكنة المغرب، وهو ما جعله ينص على أن لغة الريفيين تختلف عن لغات المغاربة الآخرين عند كتابته للبيان الذي أرسله إلى منظمة عالمية

---

(١) موسوعة التراجم المغربية ٥٥٩/١٢

تضم كل الدول المشتركة في معاهدة الجزيرة الخضراء لعام ١٩٠٦؛ وهو ما يعني أنه كان يحمل وعيا جنينيا بإشكالية اللغة وعلاقتها بتشييد الأمم وتقدمها؛." (١)

١١٢. "فيما يتعلق بالقراءات هنا لا مجال للقراءتين لأن رسم المصحف توقيف ورسم الواو غير رسم الياء. هذه وردت هكذا وهذه وردت هكذا ليس فيها خلاف لكن يبقى السؤال: لماذا قيل هنا الصابئين وهناك الصابئون؟

هي في الحقيقة ليست مشلكة ونحن ينبغي أن نتذكر أن أعداء الإسلام من مشركي العرب كانوا حريصين أن يتلمسوا أي مخالفة للغتهم ليقولوا هذا ليس من لغتنا لكن لم يقل أحد منهم كيف تقول هذا الكلام لأنهم كانوا يدركون ما معناه ويفهمونه وما عندهم أي إشكال فيه وعلى مر التاريخ في الأندلس كان هناك احتكاك بين المسلمين وغير المسلمين درسوا العربية ومع ذلك لم يعترضوا على هذا ولما صارت الأمة في الحال الذي هي عليه الآن بدأت بعض الأصوات تنعق والمسلمون مساكين لا يستطيعون أن يفعلوا شيا يعني نحن والقرآن يقرأ في كل الاذاعات من أوله إلى آخره وأنا أذكر قبل أكثر من ثلاثين عاما أستإذنا عابد توفيق الهاشمي في إذاعة ما أعد برنامجا: نصوص من كتاب كذا لم يكن يعلق فقط يقرأ من النصوص، قامت الدنيا ولم تقعد أنتم تثيرون علينا الناس وأنتم ضدنا. هذا التساؤل قيل لي أن بعض الأديان الأخرى **يرطن** بهذا وهذا ليس مشكلة لأنه الذي يعرف أن ينصب في مكان ينصبه في مكان آخر في آية أخرى أطول في سورة البقرة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢)) مع البعد أما هنا (والصابئون).." (٢)

---

(١) موسوعة التراجم المغربية ٨١٥/١٧

(٢) الحاوي في تفسير القرآن الكريم (النسخة المطورة: ١٠٠٠ جزء) ٤١٠/٢٤٤

١١٣. "في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصحة نبوته، وبمنزلة أن يتكلم **بالرطانة** من غير أن يسمعها من أحد.

واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء. وجدتها نصف أسامى حروف المعجم «١» أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون - في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.

ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك:

عليه السلام -

عليه السلام

قوله: (في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي)، متعلق بقوله: "وكان حكم النطق" وهو وجه التشبيه.

قوله: (وبمنزلة)، عطف على قوله: "حكم الأقاصيص".

قوله: "**بالرطانة**"، الأساس: كلمة **بالرطانة**، **ورطن** له **يرطن**: كلمه بالعجمية.

قوله: (أربعة عشر سواء)، وقال بعده: "في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم" لما كان نصفه الحقيقي على الكسر جعله النصف تقريبا كما فعل في أجناس الحروف وقال: "ومن المستعلية نصفها"، فأورد ثلاثة مع أنها سبعةن وكذا في حروف القلقلة.

قيل: فيه نظر لتأكيد بقوله: "سواء".

وأجيب: أن "سواء" صفة أربعة عشر، ولا يتعلق "بنصف أسامي حروف المعجم".

قوله: (وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف)، يشكل بحروف الذلاقة وهي:." (١)

١١٤. "فقلت: مالك يا أبا رافع وغيرت صوتي

فقال: ألا أعجبك لأمك الويل دخل علي رجل فضربني بالسيف قال: فعمدت له أيضا فأضربه أخرى فلم تغن شيئا، فصاح وقام أهله، ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع بالسيف في بطنه ثم انكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم ... (١).

وقد ذكرت كتب السيرة أن امرأة أبي رافع حينما ضرب بالسيف صاحت فأراد قتلها ثم كف عن ذلك

---

(١) الحاوي في تفسير القرآن الكريم (النسخة المطورة: ١٠٠٠ جزء) ٣١٦/٥٢

لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد نهاهم عن قتل النساء والصبيان (٢) وأن ابن عتيك كان يرطن بلغة اليهود وأنه استخدمها مع زوجة أبي رافع اليهودي وأهل بيته.

ويذكر كتاب السيرة أن سرية ابن عتيك كلها شاركت في ضرب أبي رافع وأن كل واحد منهم ادعى انه ضربته كانت هي القاضية على أبي رافع، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (عجلوا بأسيافكم) فأتوا بأسيافهم فنظروا إليها، ثم قال: (هذا قتله)، وهو سيف عبدالله بن أنيس، هذا أثر الطعام في سيف عبدالله بن أنيس (٣) وقد يتوهم القارئ الكريم أن هناك تناقضا بين رواية البخاري ورواية كتب السيرة الأخرى التي تقول أن الضربة القاضية كانت من عبدالله بن أنيس والحق أنه ليس كذلك، ذلك لأن عبدالله بن عتيك يخبر عن نفسه وأنه غلب على ظنه أنه هو القاتل وأنه قد حكى عن دوره في ضرب اليهودي أبي رافع، ولايعني هذا أن غيره لم يشارك في قتله، إذ لم ينف هو مشاركة غيره له في قتل أبي رافع، والروايات يفسر بعضها بعضا ويشرح بعضها بعضا والروايات تذكر أن كل واحد من أفراد السرية كان يدعى أن ضربته هي القاضية والمميتة لأبي رافع، وقد نظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في دعواهم وفحص سيوفهم وحكم بعد ذلك بأن الضربة القاضية كانت

---

(١) () البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع (٥/ ٣٤) رقم ٤٠٤٠.

(٢) () انظر: شرح المواهب اللدينة (٢/ ١٦٨).

(٣) () انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٩١ – ٩٢)؛ المغازي للواقدي (١/ ٢٩٤)؛ المغاز النبوية للزهري، ص ١١٤.." (١)

١١٥. "السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط (١).

وقد ذكرت كتب السيرة أن امرأة أبي رافع حينما ضرب بالسيف صاحت فأراد قتلها، ثم كف عن ذلك؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاهم عن قتل النساء والصبيان (٢)، وأن ابن عتيك كان يرطن بلغة اليهود، وأنه استخدمها مع زوجة أبي رافع اليهودي وأهل بيته.

---

(١) السيرة النبوية (دروس وعبر) في تربية الأمة وبناء الدولة ابن شاذان، الحسن بن أحمد ١٢٣٣/٨

ويذكر كتاب السيرة أن سرية ابن عتيك كلها شاركت في ضرب أبي رافع، وأن كل واحد منهم ادعى أن ضربته كانت هي القاضية على أبي رافع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عجلوا بأسيافكم» فأتوا بأسيافهم فنظروا إليها، ثم قال: «هذا قتله» وهو سيف عبد الله بن أنيس، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله بن أنيس (٣). وقد يتوهم القارئ الكريم أن هناك تناقضا بين رواية البخاري، ورواية كتب السيرة الأخرى التي تقول: إن الضربة القاضية كانت من عبد الله بن أنيس، والحق أنه ليس كذلك؛ ذلك لأن عبد الله بن عتيك يخبر عن نفسه، وأنه غلب على ظنه أنه هو القاتل، وأنه قد حكى عن دوره في ضرب اليهودي أبي رافع، ولا يعني هذا أن غيره لم يشارك في قتله، إذ لم ينف هو مشاركة غيره له في قتل أبي رافع، والروايات يفسر بعضها بعضا، ويشرح بعضها بعضا والروايات تذكر أن كل واحد من أفراد السرية كان يدعي أن ضربته هي القاضية والمميتة لأبي رافع، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواهم وفحص سيوفهم، وحكم بعد ذلك بأن الضربة القاضية كانت بسيف عبد الله بن أنيس – رضي الله عنه – لظهور أثر الطعام عليه، أي أن هذا السيف قد دخل جوف أبي رافع ومزق أحشاءه، وقطع أمعاءه، وخلط غذاءه في جوفه (٤).

وقد ذكرت كتب السيرة أسماء سرية عبد الله بن عتيك وهم: مسعود بن سنان، عبد الله بن أنيس، أبو قتادة الحارث بن ربعي، خزاعي بن أسود (٥).

وفي هذه السرية دروس وعبر كثيرة منها:

١ – إن كل أعضاء هذه السرية كانوا من الخزرج فقد حرصوا على أن ينافسوا إخوانهم من الأوس، الذين قتلوا كعب بن الأشرف، فقد كانوا كفرسي رهان في المسابقة في الخيرات فهم لا يتنافسون على اغتنام مظاهر الحياة الدنيا من المال والمناصب، وإنما يتسابقون إلى الفوز

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع (٥/ ٣٣) رقم ٤٠٣٩.

(٢) انظر: شرح المواهب اللدنية (٢/ ١٦٨).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٩١، ٩٢) المغازي للواقدي (١/ ٢٩٤) المغازي النبوية للزهري، ص١١٤.

(٤) انظر: الصراع مع اليهود (١/ ١٨٩).

(٥) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص٩١.." (١)

١١٦. "فنقول له : أجهدت نفسك ياشيخي نم قليلا..

فيقول : الناس محتاجة لمن يفتيها وأنا أنام؟؟

هات التلفون .. فيرغمنا على إحضاره ونحن نشفق عليه من التعب ..

من المواقف التي حصلت لنا تلك الأيام ..

من عادة شيخنا أن يتصدق على فقراء الحرم من الأفارقة وغيرهم ..

وهذا ما يفعله كل عام .. وعرف الناس عنه ذلك ..

فطلب مني أنا والأخ علي أن نستقبل الطلبات وندون الأسماء ونجردها ..

وحينما جاء يوم التوزيع وهو قبل العيد بيوم تقريبا ..

تجمهر عدد هائل من الأفارقة وغالبهم من المفتولين وأصحاب الأجسام الضخمة وقوية البنية .. وكان لهم جلبة وضجيج فكنا نادي على الأسماء فيدخل الشخص لداخل الغرفة ويستلم ما ييسره الله له ..

غير أن الأمر خرج عن السيطرة ولم نقدر على ترتيبهم وتنظيمهم ..

وتدافع الناس واختلط الحابل بالنابل وخفنا على الشيخ وهو لوحده في الغرفة ولم يشعر بما يحصل في الخارج ..

فجهدنا أنا وعلي أن ندخل الغرفة وبالكاد دخلنا ..

وأردنا أن نغلق الباب حتى يقل عدد الناس ويسهل تنظيمهم ..

ولكن المشاغبين لم يرقهم هذا التصرف فدفعوا على الباب حتى كادوا أن يخلعوه حينها جاء شيخنا ورأى بنفسه الحال ..

فقال: خلاص أوقفوا التوزيع !!

لا يمكن أن نعطي الناس بهذا الشكل..

ولكن كيف سنغلق الباب .. فنحن اثنين نقف أمام مئات ..

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ابن شاذان، الحسن بن أحمد ص/٦٥٣

فحاولنا جاهد ين أن نغلق الأبواب فلم نقدر .. بل تدافع الناس ودخل عدد منهم في داخل الغرفة ..

حينها استشط شيخنا غضبا .. وتقدم بنفسه ووقف أمام رجل أفريقي ضخم الجثة عظيم الرأس مفتول العضلات .. فوقف شيخنا أمامه ولا يكاد يصل بطوله لنصف جسده !!

وهو النحيل ضعيف البنية فأمره بالخروج !!

فكأن الإفريقي لم يفهم ولا يتكلم اللغة العربية ..

فقال له الشيخ : أخرج يارجل ..

فما تحرك من مكانه وصار يرطن بكلام لا نعيه ..

فحاول الشيخ دفعه وفحص في الأرض بقدميه والرجل ثابت كالجبل الراسي." (١)

١١٧. "ويقال ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة سليمان قال ابن عبد البر كذا ليحيي وابن القاسم وابن بكير وبشر بن عمر وغيرهم

١١٨. وقال القعنبي حسبت أنه قال عبد الله بن كعب أو عبد الرحمن بالشك

١١٩. وقال ابن وهب عن ابن لكعب ولم يقل عبد الله ولا عبد الرحمن ولا حسب شيئا من ذلك واتفق رواة الموطأ على إرساله ولا أعلم أحدا أسنده عن مالك إلا الوليد بن مسلم فقال عن أبيه (أنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم) الخمسة (الذين قتلوا ابن أبي الحقيق) بضم الحاء المهملة وقافين مصغر وهو أبو رافع اليهودي قال البخاري اسمه عبد الله ويقال سلام وبالثاني جزم ابن إسحاق وأفاد الحافظ أنه اسمه الأصلي وأن الذي سماه عبد الله هو عبد الله بن أنيس كما أخرجه الحاكم في الإكليل من حديثه مطولا قال البخاري كان أبو رافع بخيبر ويقال في حصن له بأرض الحجاز ويحتمل أن حصنه كان قريبا من خيبر في طرف أرض الحجاز وعند موسى بن عقبة فطرقوا باب أبي رافع بخيبر فقتلوه في بيته

١٢٠. وأخرج البخاري عن البراء بن عازب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله

---

(١) رحلتي إلى النور ص/١٣٥

عليه وسلم ويعين عليه وذكر ابن عائذ عن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على النبي صلى الله عليه وسلم

١٢١. وعند ابن إسحاق فصاحت امرأته فنوهت بنا فيمكن أنهم لما دخلوا صاحت صياحا لم يسمع ثم أرادت رفع صوتها ومداومة الصياح لتسمع الجيران فرفعوا عليها السلاح فسكتت (فأرفع السيف عليها) لأقتلها (ثم أذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكف) عن قتلها (ولولا ذلك) أي نهيه (استرحنا منها)

١٢٢. وفي رواية ابن إسحاق ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهيه صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل فعلوه بأسيافهم والذي باشر قتله عبد الله بن عتيك كما في البخاري والقصة مبسوطة في السير

١٢٣. ________________________________

١٢٤. ". (١)

١٢٥. "ألف درهم سوف أحضره بعد يوم أو يومين، ثم إن الذي أقر أنكر، وذاك الذي له الحق له يعلم بسماع هذا منه، فهذا نقول: إن هذا عنده شهادة لم يعلم بها صاحب الحق.

ويذكر في ترجمة المعري أنه كان رجلا قوي الحافظة، وأنه تخاصم رجلان فارسيان في المسجد يتنازعان [بلغتهم] في المسجد، وأنهما مع النزاع أقر أحدهما للآخر ثم أنكر، فارتفعا للحاكم، فقال الحاكم: هل عندك شهود -يقوله لصاحب الحق- قال: أين أقر لك؟ قال: في المسجد، قال: هل في المسجد أحد؟ قال: لا يوجد إلا رجل أعمى ولا أدري ما عنده، قال: أحضروه، فجاء فقال: أنا لا أدري ما يقولان، ولكن أنا أحكي لك كلامهما! ! هو عربي وهما عجم، فقال: احك وبدأ يرطن عليه وتبين الحق، فهذه إن صحت تدل على قوة الحافظة، يعني: ليس كلاما عربيا يفهمه الإنسان؛ لأن الكلام العربي تفهم المعنى، ويمكن أن تعبر عنه بلفظ مقابل أو باللفظ نفسه، لكن كلام غير غربي وهذا الرجل غير عربي هذا من العجائب إن صحت القصة، لكني قرأتها قديما في ترجمته.

على كل حال نقول: يمكن أن يشهد الإنسان بحق وهو لا يدري عن شهادته، نقول: الأفضل لمن شهد شهادة لا يعلم بها صاحب الحق أن يؤديها قبل أن يسأل، بل نقول: يجب أن يؤديها أو على

(١) شرح الزرقاني على الموطأ - العلمية عبد الرحمن عبد المحسن الأنصاري ١٥/٣

الأقل يعلم صاحب الحق.

وأما القسم الثاني فإنه إذا كان عنده شهادة لشخص يعلمها فالأفضل ألا يتسرع حتى يسأل إما من قبل الخصم وإما من قبل الحاكم، وأما أن يتسرع، فهذا يدل على أنه رجل خفيف وأنه لا يتأنى في الأمور، وحمله بعض العلماء على أن المراد بذلك: الشهادة في حق الله، يعني بذلك: أهل الحسبة، فإنهم يشهدون على المنكر وإن لم يستشهدوا، ولكن الصحيح أنه عام، وأن المراد بذلك: من كان عنده شهادة وليس يعلمها صاحب الحق.

حكم شهادة الخائن والعدو والقانع:

١٣٤٢ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجوز شهادة خائن، ولا خائنة، ولا ذي غمر على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع لأهل البيت». رواه أحمد وأبو داود.

"لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة"، خائن في حق العباد أو في حق الله؟ الحديث عام، أما الخائن في حق العباد فهو الذي يخون أماناتهم من ودائع وعوار وأعيان مضمونة وغير ذلك، وأما في حق الله فهو الذي لا يقيم دينه، لأن دين الله عز وجل مؤتمن عليه الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها﴾ [الأحزاب: ٧٢].." (١)

١٢٦. "في أن ذلك حاصل له من جهة الوحى، وشاهد بصحة نبوته، وبمنزلة أن يتكلم **بالرطانة** من غير أن يسمعها من أحد.

واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء. وجدتها نصف أسامي حروف المعجم «١» أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون - في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.

ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك:

قوله: (في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي)، متعلق بقوله: "وكان حكم النطق" وهو وجه التشبيه.

---

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية ابن عثيمين ١٨٠/٦

قوله: (وبمنزلة)، عطف على قوله: "حكم الأقاصيص".

قوله: "**بالرطانة**"، الأساس: كلمة **بالرطانة**، **ورطن** له **يرطن**: كلمه بالعجمية.

قوله: (أربعة عشر سواء)، وقال بعده: "في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم" لما كان نصفه الحقيقي على الكسر جعله النصف تقريبا كما فعل في أجناس الحروف وقال: "ومن المستعلية نصفها"، فأورد ثلاثة مع أنها سبعةن وكذا في حروف القلقلة.

قيل: فيه نظر لتأكيد بقوله: "سواء".

وأجيب: أن "سواء" صفة أربعة عشر، ولا يتعلق "بنصف أسامي حروف المعجم".

قوله: (وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف)، يشكل بحروف الذلاقة وهي:." (١)

١٢٧. "في أن ذلك حاصل له من جهة الوحى، وشاهد بصحة نبوته، وبمنزلة أن يتكلم **بالرطانة** من غير أن يسمعها من أحد.

واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء. وجدتها نصف أسامى حروف المعجم «١» أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون - في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.

ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك:

قوله: (في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي)، متعلق بقوله: "وكان حكم النطق" وهو وجه التشبيه.

قوله: (وبمنزلة)، عطف على قوله: "حكم الأقاصيص".

قوله: "**بالرطانة**"، الأساس: كلمة **بالرطانة**، **ورطن** له **يرطن**: كلمه بالعجمية.

قوله: (أربعة عشر سواء)، وقال بعده: "في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم" لما كان نصفه الحقيقي على الكسر جعله النصف تقريبا كما فعل في أجناس الحروف وقال: "ومن المستعلية نصفها"، فأورد ثلاثة مع أنها سبعةن وكذا في حروف القلقلة.

قيل: فيه نظر لتأكيد بقوله: "سواء".

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) محمد منظور النعماني ٣٧/٢

وأجيب: أن "سواء" صفة أربعة عشر، ولا يتعلق "بنصف أسامي حروف المعجم".

قوله: (وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف)، يشكل بحروف الذلاقة وهي:." (١)

١٢٨. "أمتهم، وأتقنوا وبرعوا في علوم ولغات وثقافة الغرب، فبنوا تلك القنطرة الواصلة بين الأصالة والتجديد، بين التراث والانبعاث.

وفي المغرب أجد أن الأستاذ الحاج امحمد أبا حنيني، ومن غيرهم ما شطط في الأحكام أو مبالغة في التقييم، أجده صرحا شامخا من صروح النهضة المغربية الحديثة، فهو يمثل جوهرها ويجسد فلسفتها، ويرمز إلى إشراقها.

والذين عرفوا الحاج امحمد أبا حنيني عن كتب وعايشوه عرفوا كم كان رحمه الله غيورا على ثقافة وحضارة بلده وشعبه، وكان أشد ما يكون حزينا حينما يسمع أحدا **يرطن** بالفرنسية ولا يفقه لغته الوطنية.

وكلكم تعرفون أية أناقة كان يتحلى بها أسلوبه حينما يكتب، إنك أمام أسلوبه المرصع، المتدفق، كالناظر لعقد اللآلئ الجميلة، كل لؤلؤة في مكانها، تعلن عن جمالها وتكشف عن لمعانها. ودائما كان يذكرني أسلوبه بصاحب الوزارتين، لسان الدين ابن الخطيب، وقد كان بالفعل لسان الدين ابن الخطيب عصره وأيامه، أعاد للعربية جمالها وأناقتها وقوة تعبيرها وإشراق معانيها. كان يكتفي بالكلمة والجملة احتفاءه بجلابته الأنيقة، نعم كان الحاج امحمد أبا حنيني نموذج المثقف العالم المغربي، في لباسه، في أناقته، في وداعته، في أدبه. وليس صدفة أنه ظل محافظا على لباسه الوطني طيلة حياته، لقد كان يبدو فيه بهيا، مهيبا، باعثا على الاحترام، وإن ربطة العنق تبدو من فتحتي جلابته عند صدره وكأنها إشارة إلى التجانس الذي يمكن للمثقف والإنسان عموما، أن يحافظ عليه بين الأصالة والمعاصرة، بين الشخصية الوطنية القوية والانفتاح المنتقى المنضبط.." (٢)

١٢٩. "والانفعالية التي كانت تجمعه بمن يحب أو بمن يثيره، سواء عندما كان بين ظهراني أهله بالريف مجاهدا ومقاتلا، أو عندما كان منفيا في جزيرة لارينيون، أو عندما فضل الاستقرار بمصر. هذا ما أكده أبناؤه وحفدته وكل الذين عايشوه في أكثر من تصريح وحوار؛ وكما يقول الأستاذ محمد أونيا فإن "الرجل كان لا يشعر بأي امتعاض وهو يتخاطب بالريفية مع بني جلدته"؛

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ط- أخرى محمد منظور النعماني ٣٧/٢

(٢) موسوعة التراجم المغربية ٥٥٩/١٢

٤. يدرس اللغة الأمازيغية في مدينة مليلية لسنوات، ولم يصدر عنه أنه أحس بالدونية يوما وهو "يرطن" بهذه اللغة أمام جنيرالات ونخب المدينة، بل كان يعلمها لهم أيضا ويمنحهم النقط التي يستحقونها؛ وكان يكاتب طلبته النجباء ويشجعهم على التقدم في تعلم الريفية، فقد كتب في هذا الصدد رسالة إلى أحد تلامذته من الإسبان بمدينة مليلية يدعى "أنخيل مونيوز بوسكي" (Angel MUNOZ BOSKUE) يقول له فيها: "حمدا وصلاة، صديقي الأكرم سيد أنخيل مونيوز بوسكي، أراك تتقدم في تعلم اللغة الريفية ويسرني جدا أن أرى سيادتكم متمتعين براحة البال والسعادة والهناء والسلام. صديقك محمد بن عبد الكريم الخطابي".

٥. يعي أهمية اللغة والفروقات اللسانية بين الريفيين وغيرهم من ساكنة المغرب، وهو ما جعله ينص على أن لغة الريفيين تختلف عن لغات المغاربة الآخرين عند كتابته للبيان الذي أرسله إلى منظمة عالمية تضم كل الدول المشتركة في معاهدة الجزيرة الخضراء لعام ١٩٠٦؛ وهو ما يعني أنه كان يحمل وعيا جنينيا بإشكالية اللغة وعلاقتها بتشييد الأمم وتقدمها؛." (١)

١٣٠. "الفضل عثمان بن أبي بكر بن سعيد الإربلي، وداود بن أسعد بن حامد القفال المنحروري، والشريف علي بن محمد الخراساني الهروي، والمعمر أبو بكر المقدسي، والهمام السهركندي، وأبو مروان عبد الملك بن بشر المغربي، لكنه لم يسمه، قال: لقيت المعمر فوصفه بنحو مما وصفوا به رتن، ولم أجد له في المتقدمين في كتب الصحابة ولا غيرهم ذكرا، لكن ذكره الذهبي في تجريده، فقال: رتن الهندي شيخ ظهر بعد ستمائة بالشرق، وادعى الصحبة، فسمع منه الجهل، ولا وجود له، بل اختلق اسمه بعض الكذابين، وإنما ذكرته تعجبا كما ذكره أبو موسى سرباتك الهندي، بل هذا إبليس اللعين قد رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه، وأغرب من ذلك صحابي هو أفضل الصحابة مطلقا، فذكر عيسى ابن مريم عليهما السلام كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى.

وذكره في «الميزان» فقال: رتن الهندي، وما أدراك ما رتن شيخ دجال بلا ريب، ظهر بعد ستمائة فادعى الصحبة، والصحابة لا يكذبون، وهذه جراءة على الله ورسوله. وقد ألفت في أمره جزءا، وقد قيل: إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من أسمج

---

(١) موسوعة التراجم المغربية ٨١٥/١٧

الكذب والمحال.

قلت: وزعم الإربلي أنه سمع منه بعد ذلك في سنة ستمائة وخمسة وخمسين، وما زلت أطلب الجزء المذكور حتى ظفرت به بخط مؤلفه، فكتبت منه ما أردته هنا من خطه بلفظه.

وأوله: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحانك هذا بهتان عظيم،

قال شيخ الشيوخ، ومن خطه نقلت، واسمه محمد أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الحسيني الكاشغري: حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار الربانية، منبع الأنوار السبحانية، همام الدين السهركندي، حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر، خواجا رطن بن ساهوك بن جكنديق الهندي البترندي، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت ريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت الذنوب منه كما تناثر الورق من هذه الشجرة» .

وقال عليه السلام: «من أكرم غنيا لغناه أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين إلا أن يتوب» «١» .

---

(١) أورده الفتني في تذكرة الموضوعات ١٠٣ من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٢٨ عن نبيشة بلفظ كتاب الأطعمة باب ما جاء في اللقمة تسقط (١١) حديث رقم ١٨٠٤ قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث المعلى بن راشد وابن ماجة في السنن ٢/ ١٠٨٩ كتاب الأطعمة (٢٩) باب تنقية الصحفة (١٠) حديث رقم ٣٢٧١، ٣٢٧٢، وأحمد في المسند ٥/ ٧٦ والدارمي في السنن ٢/ ٩٦، وابن سعد في الطبقات ٧/ ٣٤ وأورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم ٤٠٧٨٧.." (١)

١٣١. " ٢٧٥٩ - ربيعة خادم النبي صلى الله عليه و سلم استدركه بن الأمين وقد ذكره أبو عمر في موضعه على الصواب فقال ربيعة بن كعب وهو خادم النبي صلى الله عليه و سلم المذكور

i. ٢٧٦٠ - ربيعة الكلابي ذكره أبو موسى من طريق أبي مسلم الكجي قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا سعيد بن خثيم عن ربيعة بنت عياض حدثني عياض حدثني ربيعة الكلابي قال رأيت النبي

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢/٤٣٥

صلى الله عليه و سلم توضأ فأسبغ الوضوءالحديث ورواه يحيى الحماني وغيره عن سعيد فقالوا عن ربيعة عن عبيدة بن عمرو الكلابي وهو الصواب وسيأتي

١٣٢. (الراء بعدها التاء)

i. ٢٧٦١ - رتن بن عبد الله الهندي ثم البتر ندي ويقال المرندي ويقال رطن ." (١)

١٣٣. " ورسوله وقد ألفت في أمره جزءا وقد قيل إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من أسمج الكذب والمحال قلت وزعم الإربلي أنه سمع منه بعد ذلك في سنة ستمائة وخمسة وخمسين وما زلت أطلب الجزء المذكور حتى ظفرت به بخط مؤلفه فكتبت منه ما أردته هنا من خطه بلفظه وأوله بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك هذا بهتان عظيم قال شيخ الشيوخ ومن خطه نقلت واسمه محمد أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الحسيني الكاشغري حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار الربانية منبع الأنوار السبحانية همام الدين السهر كندي حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر خواجا رطن بن ساهوك بن جكندريق الهندي البترندي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت ريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة فقال صلى الله عليه و سلم إن المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت الذنوب منه كما تناثر الورق من هذه الشجرة وقال عليه السلام من أكرم غنيا لغناه أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين إلا أن يتوب وقال عليه السلام من مات على بغض آل محمد مات كافرا وقال عليه السلام من مشط حاجبيه كل ليلة وصلى علي لم ترمد عيناه أبدا قلت وسرد ثمانية أحاديث أخرى ثم قال الذهبي عن الكاشغري حدثنا ." (٢)

١٣٤. "الراء بعدها التاء

٢٧٧٢ - (ز) رتن بن عبد الله الهندي ثم البتر ندي، ويقال: المرندي، ويقال: رطن بالطاء بدل التاء المثناة بن ساهوك بن جكندريو هكذا وجدته مضبوطا مجودا بخط من يوثق به وضبطه بعضهم بقاف بدل الواو، ويقال: رتن بن نصر بن كربال وقيل رتن بن ميدن بن مندي.

شيخ خفي خبره بزعمه دهرا طويلا إلى أن ظهر على رأس القرن السادس فادعى الصحبة فروى عنه

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (ط الجيل) ابن حجر العسقلاني ٥٢٣/٢

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (ط الجيل) ابن حجر العسقلاني ٥٢٥/٢

ولداه محمود وعبد الله وموسى بن مجلي بن بندار الدنيسيري والحسن بن محمد الحسيني الخراساني والكمال الشيرازي وإسماعيل البارقي وأبوالفضل عثمان بن أبي بكر بن سعيد الإربلي وداود بن أسعد بن حامد القفال المنحروري والشريف علي بن محمد الخراساني الهروي والمعمر أبو بكر المقدسي والهمام السهر كندي، وأبو مروان عبد الملك بن بشر المغربي لكنه لم يسمه قال لقيت المعمر فوصفه بنحو مما وصفوا به رتن.." (١)

١٣٥. "قلت: وزعم الإربلي أنه سمع منه بعد ذلك في سنة ستمئة وخمسة وخمسين وما زلت أطلب الجزء المذكور حتى ظفرت به بخط مؤلفه فكتبت منه ما أردته هنا من خطه بلفظه.

وأوله بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك هذا بهتان عظيم قال شيخ الشيوخ ومن خطه نقلت واسمه محمد أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الحسيني الكاشغري حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار الربانية منبع الأنوار السبحانية همام الدين السهر كندي حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر خواجا رطن بن ساهوك بن جكندريق الهندي البترندي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت ريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة فقال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت الذنوب منه كما تناثر الورق من هذه الشجرة.

وقال عليه السلام من أكرم غنيا لغناه أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين إلا أن يتوب.

وقال عليه السلام من مات على بغض آل محمد مات كافرا.

وقال عليه السلام من مشط حاجبيه كل ليلة وصلى علي لم ترمد عيناه أبدا.." (٢)

١٣٦. " ٢٧٥٩ - ربيعة خادم النبي صلى الله عليه و سلم استدركه بن الأمين وقد ذكره أبو عمر في موضعه على الصواب فقال ربيعة بن كعب وهو خادم النبي صلى الله عليه و سلم المذكور

i. ٢٧٦٠ - ربيعة الكلابي ذكره أبو موسى من طريق أبي مسلم الكجي قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا سعيد بن خثيم عن ربيعة بنت عياض حدثني عياض حدثني ربيعة الكلابي قال رأيت النبي صلى الله عليه و سلم توضأ فأسبغ الوضوءالحديث ورواه يحي الحماني وغيره عن سعيد فقالوا عن ربيعة عن عبيدة بن عمرو الكلابي وهو الصواب وسيأتي

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ط هجر (٨٥٢) ابن حجر العسقلاني ٥٨٩/٣

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ط هجر (٨٥٢) ابن حجر العسقلاني ٥٩١/٣

١٣٧.   (الراء بعدها التاء)

i. ٢٧٦١ – رتن بن عبد الله الهندي ثم البتر ندي ويقال المرندي ويقال رطن ." (١)

١٣٨.   " ورسوله وقد ألفت في أمره جزءا وقد قيل إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من أسمج الكذب والمحال قلت وزعم الإربلي أنه سمع منه بعد ذلك في سنة ستمائة وخمسة وخمسين وما زلت أطلب الجزء المذكور حتى ظفرت به بخط مؤلفه فكتبت منه ما أردته هنا من خطه بلفظه وأوله بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك هذا بهتان عظيم قال شيخ الشيوخ ومن خطه نقلت واسمه محمد أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الحسيني الكاشغري حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار الربانية منبع الأنوار السبحانية همام الدين السهر كندي حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر خواجا رطن بن ساهوك بن جكندريق الهندي البترندي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت ريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة فقال صلى الله عليه و سلم إن المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت الذنوب منه كما تناثر الورق من هذه الشجرة وقال عليه السلام من أكرم غنيا لغناه أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين إلا أن يتوب وقال عليه السلام من مات على بغض آل محمد مات كافرا وقال عليه السلام من مشط حاجبيه كل ليلة وصلى علي لم ترمد عيناه أبدا قلت وسرد ثمانية أحاديث أخرى ثم قال الذهبي عن الكاشغري حدثنا ." (٢)

١٣٩.   "سلسلة (١) معلقة. فأخذ بالسلسلة (٢) فحركها وكان أعلم مني فأشرف علينا رجل، فلما رآنا فتح (٣) الباب، فدخلنا، فلم يتكلم حتى طرح لي فراشا، ولصاحبي مثله، ثم أقبل على صاحبي يكلمه بلسانه [فراطنه] (٤)
حتى سؤت ظنا (٥)، ثم أقبل علي، فقال: أي [شيء] (٦) قرابتك من خليفتكم؟ قلت: ابن عمه. قال: هل أحد أقرب إليه منك؟ قلت: لا، إلا أن يكون ولده. قال: صاحب الأرض المقدسة: أنت؟ قلت: لا. فإن استطعت أن تكون (٧) هو فافعل. ثم أريد أن أخبرك بشيء وأخاف أن تضعف عنه، قال: قلت: [ألي تقول هذا؟] (٨) ثم أقبل على صاحبي فراطنه.
ثم أقبل علي، فسألني (٩) عن مثل ذلك، فأجبته بمثل جوابي (١٠). فقال: إن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ط-أخرى   ابن حجر العسقلاني ٢/٥٢٣

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ط-أخرى   ابن حجر العسقلاني ٢/٥٢٥

(١) في الأصل وب: بسلسلة، والمثبت من: أ، ج. وابن عبد الحكم: فتوح مصر ١/ ١٨٦.

(٢) في أ، ب: السلسلة.

(٣) التصويب من: أ، ب، ج، وفي الأصل: فتحت.

(٤) الزيادة من: أ، ب، ج. راطنه: أي تكلم معه بالأعجمية. الجوهري: الصحاح ٥/ ٢١٢٤ (رطن).

(٥) في الأصل: الظن، والمثبت من: أ، ب، ج، وابن عبد الحكم.

(٦) التكملة من: أ، ب، ج.

(٧) في أ، ب: يكون.

(٨) في الأصل: إلا أن تقول هذا وأنا، وما أثبته من: أ، ب. وابن عبد الحكم: فتوح مصر ١/ ١٨٧.

(٩) في أ، ب: فسايلني.

(١٠) في الأصل وج: جوابه، والمثبت من: أ، ب، وابن عبد الحكم.." (١)

١٤٠. "لي مقالة ابن العربي وغض منها١.

ورأتيه يصدق بوجود رتن الهندي، وينكر على الذهبي قوله في "الميزان"٢ أنه لا وجود له. قال الشيخ مجد الدين: إنه دخل قريته، ورأى ذريته، وهم مطبقون على تصديقه، وقد أوضحت ذلك في ترجمة رتن من كتاب "الإصابة"٣.

ومن تصانيفه "شوارق الأسرار في مشارق الأنوار" والروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف" و"تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين"، وكان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر. ولم يقدر له قط أن دخل بلدا إلا وأكرمه متوليها، وبالغ في إكرامه، مثل شاه شجاع صاحب تبريز، والأشرف صاحب مصر،

---

١ قال ابن حجر في ترجمة الفيروزآبادي في "ذيل الدرر الكامنة": "ولما اجتمعت أنا بالشيخ إسماعيل

---

(١) الاكتفاء في أخبار الخلفاء - الكردبوس (بعد ٥٧٥) ١/٤٦٧

سألني عن ابن العربي وما يقول علماؤكم فيه، فأجبته بما عندي في ذلك. فلم يعجبني فلما اجتمعت بشيخنا مجد الدين ذكرت له ذلك فتبرأ من مقاله ابن العربي، وأظهر موافقتي فيما أنسبه إليه".

٢ هو "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" للإمام الذهبي. مطبوع ومشهور.

٣ طول ابن حجر ترجمة رتن كثيرا في كتابه "الإصابة" وجاءت ترجمته برقم ٢٦٥٩؛ لأنه ادعى الصحبة. وقال: "رتن بن عبد الله الهندي ثم البترندي، ويقال المرندي، ويقال رطن، بالطاء المثناة، ابن ساهوك بن جكندربيو ... ويقال: رتن بن نصر بن كربال، وقيل: رتن بن ميرن بن مندي. شيخ خفي خبره بزعمه دهرا طويلا إلى أن ظهر على رأس القرن السادس، فادعى الصحبة، فروى عنه ولده ... " وقال في نهاية ترجمته: "ولما اجتمعت بشيخنا مجد الدين الشيرازي شيخ اللغة بزبيد من اليمن وهو ذاك قاضي القضاة ببلاد اليمن رأيته ينكر على الذهبي إنكار وجود رتن، وذكر لي أنه دخل ضيعته لما دخل الهند، ووجد فيها من لا يحصى كثرة ينقلون عن آبائهم وأسلافهم عن قصة رتن ويثبتون وجوده، فقلت هو "يريد الذهبي" لم يجزم بعدم وجوده، بل تردد، وهو معذور، والذي يظهر أنه كان طال عمره فادعى ما ادعى، فتمادى على ذلك حتى اشتهر، ولو كان صادقا لاشتهر في المائة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ولكنه لم ينقل عنه شيء إلا في أواخر السادسة، ثم في أوائل السابعة، قبيل وفاته، وقد اختلف في سنة وفاته كما تقدم، والله أعلم". الإصابة ج٢ ٥١٥-٥٢٠.

وللحافظ الذهبي كتاب "كسر وثن رتن" مفقود. مقدمة سير أعلام النبلاء ١/ ٨٣.." (١)

١٤١. "كما ألحت على ركبانها الخور

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٢/ ٥٧٨ (لحح)، وتهذيب اللغة ٣/ ٤٤٤، وتاج العروس ٧/ ٧٨ (لحح).

كما انصلت البازي بكف المصقر

الشطر من الطويل، وهو للنابغة الجعدي في أساس البلاغة (صقر)، ولم أقع عليه في ديوانه.

كما انقض تحت الصيق عوار

الشطر من الوافر، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٦١٨ (عور)، ١٠/ ٢٠٨ (صيق)، ومجمل اللغة ٣/ ٤٢٢، وتاج العروس ١٣/ ١٥٨ (عور)، وكتاب العين ٥/ ١٨٨.

---

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي ص/٢٩

كما تبسم للحواءة الجمل

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في لسان العرب ١٤/ ٢٠٨ (حوا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٩٣، والمخصص ١٦/ ٣٨، وتاج العروس (حوا).

كما تراطن في أفدانها الروم

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤/ ١٤١، وكتاب العين ٨/ ٥٠، وتاج العروس (فدن)، ولسان العرب ١٣/ ١٨١ (رطن)، ٣٢١ (فدن).

كما تطاير مندوف الحراشين

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في لسان

كما تقادم عهد المهرق البالي

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في لسان العرب١٠/ ٣٦٨ (هرق)، والمخصص ٤/ ١٠٢، ١٤/ ٤١.

كما تنوقد عند الجهبذ الورق

الشطر من البسيط، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (نقد).

كما خالف العرض عرضا مخيلا

الشطر من المتقارب، وهو بلا نسبة في كتاب العين ١/ ٢٧٤.

كما دار النساء على الدوار

الشطر من الوافر، وهو بلا نسبة في مقاييس اللغة ٢/ ٣١١، ومجمل اللغة ٢/ ٢٩٩، وكتاب العين ٨/ ٥٦." (١)

١٤٢. "لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس

البيت من الكامل، وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص ٤٨؛ وتاج العروس ١٥/ ٥٢١ (حبس)؛ ولسان العرب ١٠/ ٣٦٨ (هرق) (١)؛ وشرح اختيارات المفضل ص ٦٣٢؛ وشعراء النصرانية ص ٤١٩؛ ومعجم ما استعجم ص ٤٢٠.

ومحوض صوت الغطا طبه رأد الضحي كتراطن الفرس

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ١٢/٥٠٧

البيت من الكامل، وهو لحميد بن ثور في تاج العروس ١٩/ ٥١٢ (غطط)، (رطن)؛ وليس في ديوانه الذي يتضمن قصيدة على وزن البيت وروية.

فأثار فارطهم غطاطا جثما أصواتها كتراطن الفرس

البيت من الكامل، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص ١٥٥ (طبعة مكس سلغسون)؛ ولسان العرب ١٣/ ١٨١ (رطن)؛ وتاج العروس (رطن)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٧/ ٣٦٢ (غطط)، ٧/ ٣٦٦ (فرط)؛ ومقاييس اللغة ٢/ ٤٠٤، ٤/ ٣٨٤؛ وتهذيب اللغة ١٣/ ٣٣١، ١٦/ ٤٩؛ ومجمل اللغة ٢/ ٣٨٧؛ وتاج العروس ١٩/ ٥١٢ (غطط)، ٥٢٨ (فرط).

قد كنت في منظر ومستمع عن نصر بهراء غير ذي فرس

البيت من المنسرح، وهو لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ١٠٢؛ ولسان العرب ٥/ ٢١٧ (نظر) (٢)؛ وتاج العروس ١٤/ ٢٥٤ (نظر)، ١٦/ ٣٠١ (غبس)؛ وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٧٠؛ وأساس البلاغة (نظر)؛ وطبقات فحول الشعراء ص ٦٠٧؛ والشعر والشعراء ص ٣٠٨.

* مطاعين في الهيجا مطاعيم في القرى إذا ابيض آفاق السماء من القرس

البيت من الطويل، وهو لأوس بن حجر في ديوانه ص ٥١؛ وأساس البلاغة ص ٣٦١ (قرس)؛ ولسان العرب ٦/ ١٧٠ (قرس)؛ وبلا نسبة في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٨٥؛ ولسان العرب ١٣/ ٢٦٦ (طعن)؛ وتاج العروس (طعن).

فقد تصليت حر حربهم كما تصلي المقرور من قرس

البيت من المنسرح، وهو لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ١٠٦؛ ولسان العرب ٦/ ١٧١ (قرس)، ١٤/ ٤٦٧ (صلا)؛ وكتاب العين ٥/ ٧٥، ٨/ ١٥٥؛ ومقاييس اللغة ٥/ ٧٠؛ وتهذيب اللغة ٨/ ٣٩٩، ١٢/ ٢٣٨؛ وأساس البلاغة (قرس)؛ وتاج العروس

---

(١) وفيه «الجيش» مكان «الفرس» وهذا تحريف.

(٢) وفيه ٥/ ٢١٧ «أبو زيد»، وهذا تحريف.." (١)

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ٨٤/٤

١٤٣. "١٠/ ١٥٤ (سحق)، ١٢/ ٤٢٦ (عمم)، ١٤/ ٣٨٠ (سرا)، ٤٦٤ (صفا)؛ ومقاييس اللغة ٤/ ١٦؛ وتاج العروس ٢٢/ ١٨٦ (متع)، ٢٥/ ٤٦٣ (سحق)، (عمم)، (سرى)، (صفا)؛ ومعجم البلدان ٣/ ٤١١ (الصفا)؛ وأساس البلاغة (متع).

إذا هبطت جو المراغ فغرست طروقا وأطراف التوادى كرومها

البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه ص ٩٨٨؛ ولسان العرب ١٢/ ٥١٥ (كرم)، ١٥/ ٣٨٦ (ودي)؛ وتاج العروس (كرم).

يوحي إليها بأنقاض ونقنقة كما تراطن في أفدانها الروم

البيت من البسيط، وهو لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٦٢؛ ولسان العرب ١٥/ ٣٨٠ (وحي).

بترس أعجم لم تنخر مسامره مما تخير في أوطانها الروم

البيت من البسيط، وهو لابن مقبل في ديوانه ص٢٧٧؛ وأساس البلاغة (لطم)؛ وتهذيب اللغة ٢/ ٤٠، ١٣/ ٣٥٨.

*داوية ودجى ليل كأنما يم تراطن في حافاته الروم

البيت من البسيط، وهو لذي الرمة في ديوانه ص٤١٠؛ الإعراب ٢/ ٦٧٠؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٤٣٥؛ وشرح المفصل ٥/ ١٥٤، ١٠/ ١٩؛ والمقاصد النحوية ١/ ٤١٣؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٧٦٠؛ ولسان العرب ١٣/ ١٨١ (رطن).

* فلا وأبي لنأتيها جميعا ولو كانت بها عرب وروم

البيت من الوافر، وهو لعبد الله بن رواحه في ديوانه ص١٠٣، وشرح شواهد المغنى ٢/ ٩٣٢؛ ولسان العرب ١/ ٢٢١ (أوب)؛ ومعجم ما استعجم ص١١٧٣ (مؤتة)؛ وبلا نسبة في مغنى اللبيب٢/ ٦٤٣.

وتجاوزت خشب الأريط ودونه عرب ترد ذوى الهموم وروم

البيت من الكامل، وهو للأخطل في ديوانه ص٤٣٤؛ وتاج العروس ١٩/ ١٢٨ (أرط).

لقي مقعد الأنساب منقطع به إذا القوم راموا خطة لا يرومها

البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (قعد).

أيشتمني ابن الكلب أن فاض دارم عليه ورادي صخرة ما يرومها

البيت من الطويل، وهو للأخطل في ديوانه ص١٣٣؛ وأساس البلاغة (فيض).." [1]

١٤٤. "فعلق النوط أبا محبوب إن الغضا ليس بذي تذنوب

الرجز بلا نسبة في لسان العرب ١/ ٣٩٠ (ذنب)؛ وجمهرة اللغة ص ٣٠٦، ٩٢٨، ١٢٤٦؛ وكتاب الجيم ٣/ ٢٥٩؛ وتاج العروس ٢/ ٤٤٠ (ذنب).

واعجل لها بناضح لغوب شواشيء مختلف النيوب

الرجز بلا نسبة في لسان العرب ٦/ ٣١١ (شوش)؛ وتاج العروس ١٧/ ٢٣٩ (شوش).

يا قوم مالي وأباب ذؤيب

انظر قافية «غيب».

ألم تروا للعجب العجيب

انظر قافية «الجبوب».

ما شئت من شمردل نجيب

انظر قافية «توبي».

رطانة من يلقها يخيب

الرجز بلا نسبة في لسان العرب ١٣/ ١٨٢ (رطن)؛ ومقاييس اللغة ٢/ ٤٠٤؛ وتاج العروس (رطن).

يشم عطفي وبيز ثوبي كأنني أربته بريب

الرجز لخالد بن زهير الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٢٠٧؛ ولسان العرب ١/ ٤٤٣ (ريب)، ٥/ ٣١٢ (بزز)، ١٤/ ١٧ (أتي)؛ وكتاب العين ٨/ ١٤٥؛ والتنبيه والإيضاح ١/ ٨٨، ٨٩؛ وجمهرة اللغة ص ٣٣٢، ١٠٢١؛ وتاج العروس ٢/ ٥٤٧، ٥٤٨ (ريب)، ١٥/ ٣٣ (بزز)، (أتو)؛ وللهذلي في ديوان الأدب ٣/ ٤١٨؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٣٠؛ والمخصص ١٢/ ٣٠٣، ١٤/ ٢٤؛ وكتاب العين ٧/ ٣٥٤.

أشرف ثدياها على التريب

انظر قافية «النتوب».

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَة ٧/٢١١

حلت سليمي جانب الجريب

انظر قافية «قريب».." (١)

١٤٥. "وعمره يومئذ ثماني عشرة سنة. وعول باسيل على البركونومس (١) في التدبير، وأعاد والدته ثاوفانوا (٢) من النفي إلى البلاط.

[غارة ميخائيل البرجي على طرابلس]

وسير العساكر مع ميخائيل البرجي للغزو إلى بلاد الإسلام، وغاروا على طرابلس، وغنموا غنائم كثيرة، وعاد إلى أنطاكية (٣). وجمع العساكر للغزو ثانية.

وكان باسيل الملك قد ولى بردس (٤) السقلارس (٥) بطن هنزيط (٦) والخالديات، فلما حصل هناك كبس ملطية (٧) وقبض على الباسليق المقيم بها، فأخذ منه ما وجده معه من المال، وكان مبلغه ستة قناطير، وعصى على الملك ودعا لنفسه بالملك، واجتمع إليه خلق كثير من الروم ومن الأرمن ومن المسلمين، واستولى على تلك الجهة بأسرها و [لما سمع باسيل الملك ذلك] (٨) كتب الملك إلى ميخائيل البرجي بأنطاكية ينزل للغزو والاجتماع مع ابن الملاييني (٩) البطريق، وهو يومئذ والي طرسوس، للقاء السقلاريوس، فالتقياه (١٠) بجيحان (١١) فهزمهما، وسار ابن الملاييني إلى بيته بالقبادق (١٢).

---

(١) في نسخة بترو «التركمرمنس»، وفي النسخة البريطانية: «قسطنطين على البرايكونومس. Parakoimomenos

(٢) في نسخة بترو «تفانوا».

(٣) انفرد المؤلف بهذا الخبر فلم أجده في المصادر.

(٤) في نسخة بترو «بردس».

(٥) في النسخة (ب) «السقلاريوس». وهو صهر الامبراطور حنا زمسكيس.

(٦) في النسخة (س): «رطن هيزيط»، وفي النسخة (ب): «قطر هنريط».

(٧) في الأصل وطبعة المشرق ١٤٧ «مالطية»، والتصويب من النسخة البريطانية.

---

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية طاشْكُبْري زَادَهْ ١٤٣/٩

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من النسخة (س).

(٩) في نسخة (ب) «الملاتيني»، وفي نسخة بترو «الملاتني»، وفي الدولة البيزنطية ٥٠٦ «ابن الملاييني».

(١٠) في نسختي بترو والبريطانية «فتلاقاه».

(١١) جيحان: بالفتح ثم السكون، والحاء مهملة. نهر بالمصيصة بالثغر الشامي، ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفربيا بإزاء المصيصة. (معجم البلدان ٢/ ١٩٦). وفي النسخة البريطانية «بجنحان»، وفي نسخة بترو «بحنجان».

(١٢) في نسخة بترو «بالفنادق»، وفي النسخة البريطانية «بالنقارق».." (١)

١٤٦. "بعثني أبو بكر إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام ويرغبه فيه ومعي عمرو بن العاص بن وائل السهمي وهشام بن العاص بن وائل السهمي وعدي بن كعب ونعيم بن عبد الله (١) بن النحام فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم دمشق فأدخلنا على ملكهم بها الرومي فإذا هو على فرش له مع الأسقف فأجلسنا فبعث إلينا رسوله وسألنا أن نكلمه فقلنا لا والله لا نكلمه برسول بيننا وبينه فإن كان له في كلامنا حاجة فليقربنا منه فأمر بسلم فوضع ونزل إلى فرش له في الأرض بقربنا فإذا هو عليه ثياب سود مسوح (٢) فقال له هشام بن العاص بن وائل ما هذه المسوح التي عليك قال لبستها ناذرا أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام فقلنا قال القاضي وذكر كلاما خفي علي من كتابي معناه بل نملك مجلسك وبعده ملككم الأعظم فوالله لنأخذنه إن شاء الله فإنه قد أخبرنا وذلك نبينا (صلى الله عليه وسلم) الصادق البار قال إذا أنتم السمراء قال قلنا ما السمراء قال لستم بها قلنا (٣) ومن هم قال الذين يقومون الليل ويصومون النهار قال فقلنا نحن والله هم قال فقال وكيف صومكم وصلاتكم وحالكم فوصفنا له أمرنا فنظر إلى أصحابه وراطنهم (٤) وقال لنا ارتفعوا قال ثم علا وجهه سواد حتى كأنه قطعة مسح من شدة سواده وبعث معنا رسولا (٥) إلى ملكهم الأعظم بالقسطنطينية فخرجنا حتى انتهينا إلى مدينتهم ونحن على رواحلنا علينا العمائم والسيوف فقال لنا الذين معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فإن شئتم جئناكم ببراذين وبغال قلنا لا والله لا ندخلها إلا على رواحلنا فبعثوا إليه يستأذنونه فأرسل إليهم أن خلوا سبيلهم ودخلنا على (٦) رواحلنا حتى انتهينا إلى

---

(١) تاريخ الأنطاكي ثابت بن أبي ثابت ص/١٦٦

غرفة مفتوحة الباب وإذا هو فيها جالسس ينظر قال فأنخنا تحتها ثم قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فيعلم الله لانتفضت حتى كأنها نخلة تصفقها (٧) الريح فبعث إلينا رسولا إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم في بلادنا وأمر بنا فدخلنا عليه وإذا هو مع بطارقته وإذا عليه ثياب حمراء وإذا فرشه وما حواليه أحمر وإذا رجل فصيح بالعربية يكتب فأومأ إلينا فجلسنا ناحية فقال لنا وهو يضحك ما منعكم أن تحيوني

---

(١) في الجليس الصالح: نعيم بن عبيد الله النحام

(٢) مسوح جمع مسح وهو كساء من شعر

(٣) الزيادة عن الجليس الصالح

(٤) يعني أنه كلمهم بلغتهم حيث لا يفهمها العرب (انظر: اللسان: رطن)

(٥) الجليس الصالح: رسلا

(٦) الزيادة عن الجليس الصالح

(٧) الاصل: " تصفها " والمثبت عن م والجليس الصالح." (١)

١٤٧. "بعثني أبو بكر إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام ويرغبه فيه، ومعي عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وهشام بن العاص بن وائل السهمي، وعدي بن كعب، ونعيم بن عبد الله (١) بن النحام فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم دمشق، فأدخلنا على ملكهم بها الرومي، فإذا هو على فرش له مع الأسقف، فأجلسنا، فبعث إلينا رسوله وسألنا أن نكلمه، فقلنا: لا والله لا نكلمه برسول بيننا وبينه، فإن كان له في كلامنا حاجة فليقربنا منه، فأمر بسلم فوضع ونزل إلى فرش له في الأرض بقربنا، فإذا هو عليه ثياب سود مسوح (٢)، فقال له هشام بن العاص بن وائل: ما هذه المسوح التي عليك؟ قال: لبستها ناذرا أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، فقلنا: . قال القاضي وذكر كلاما خفي علي من كتابي معناه . بل نملك مجلسك وبعده ملككم الأعظم، فو الله لنأخذنه إن شاء الله فإنه قد أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق البار، قال: إذا أنتم السمراء قال: قلنا وما السمراء؟ قال: لستم بها [قلنا:] (٣) ومن هم؟ قال: الذين يقومون الليل ويصومون النهار، قال: فقلنا: نحن والله هم، قال: فقال: وكيف صومكم وصلاتكم وحالكم؟ فوصفنا له أمرنا، فنظر إلى

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر - ١٥٥/٤٠

أصحابه وراطنهم (٤) وقال لنا: ارتفعوا قال: ثم علا وجهه سواد حتى كأنه قطعة مسح من شدة سواده، وبعث معنا رسولا (٥) إلى ملكهم الأعظم بالقسطنطينية.

فخرجنا حتى انتهينا إلى مدينتهم ونحن على رواحلنا علينا العمائم والسيوف، فقال لنا الذين معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم جئناكم ببراذين وبغال، قلنا: لا والله لا ندخلها إلا على رواحلنا فبعثوا إليه يستأذنونه فأرسل إليهم أن خلوا سبيلهم، ودخلنا [على] (٦) رواحلنا حتى انتهينا إلى غرفة مفتوحة الباب، وإذا هو فيها جالس ينظر، قال: فأنخنا تحتها ثم قلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيعلم الله لانتفضت حتى كأنها نخلة تصفقها (٧) الريح، فبعث إلينا رسولا: إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم في بلادنا، وأمر بنا فدخلنا عليه، وإذا هو مع بطارقته، وإذا عليه ثياب حمراء، وإذا فرشه وما حواليه أحمر، وإذا رجل فصيح بالعربية يكتب، فأومأ إلينا، فجلسنا ناحية فقال لنا وهو يضحك: ما منعكم أن تحيوني

---

(١) في الجليس الصالح: نعيم بن عبيد الله النحام.

(٢) مسوح جمع مسح، وهو كساء من شعر.

(٣) الزيادة عن الجليس الصالح.

(٤) يعني أنه كلمهم بلغتهم، حيث لا يفهمها العرب (انظر اللسان: رطن).

(٥) الجليس الصالح: رسلا.

(٦) الزيادة عن الجليس الصالح.

(٧) الأصل: «تصفها» والمثبت عن م والجليس الصالح.." (١)

١٤٨. "ورمك اللون رمكة علت سواده خضرة

و (رغس) الله المال رغسا بارك فيه والمرأة كثر ولدها

والرجل على القوم أفسد

و (رحض) الشيء رحضا غسله والعرق المحموم مثله ويسمى الرحضاء (والمرحاض) من رحض

و (رحض) المحموم أيضا رحضا

---

(١) تاريخ مدينة دمشق - ١٥٥/٤٠

و (رزح) البعير رزوحا أعيا فلم ينهض (ورزاحا هزل)

و (رضح) الشيء رضحا و (رضخه) رضخا كسره

و (رضخ) له من المال رضخا و (رضيخة) أعطاه

و (ركدت) الريح ركودا) والماء سكنا والقوم هدءوا والمتن استوى سمنا والرجل بالمكان أقام

و (رتك) البعير رتكانا اهتز في سيره

و (أرتك) في أمره شك

و (رزق) الله عباده رزقا والسلطان الجند

رزقة

و (الرزق) الشكر بلغة أزد شنوءة ومنه قوله تعالى) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (أي شكركم

و (رزقه) رزقا شكره (والاسم الرزق)

و (رمغت) الأديم وغيره رمغا عركته

و (رقص) اللاعب والإبل في سيرها رقصا ورقصا والحمار حول أتنه والسراب في الظهيرة رقصا ورقصانا

و (ربط) الله تعالى على القلوب بالصبر ربطا ورباطا قراها والشجاع قلبه عن الفرار شده والشيء شددته وأوثقته

و (ربط) جأشه رباطة شجع

و (رطن) رطانة

و (رطانة)

تكلم بكلام العجم

و (رفت) الشيء رفتا كسره حتى يصير رفاتا

و (ربثه) ربثا عقله بعلل كاذبة وأيضا خدعته وحبسته

و (ركع) ركوعا قام للصلاة وأيضا انحنى وتطأطأ وكل قومة ركعة

و (رجح) الشيء رجحانا ضد نقص والحلم رجاحة رزن وثقل و (رجحت) الشيء (بيدي) أوفيته

و (رهز) الرجل والمرأة رهزا تحركا عند البعال

و (ربق) الجدي وغيره ربقا شده في الربق والرجل سجنته

و (رعبه) رعبا أفزعه والاناء رعبا ملأه والسيل الوادي ملأه

و (أيضا رقى من السحر و (رعبت) الشيء قطعته و (رعب) الشيء رعبا قصر فهو أرعب والأنثى رعباء

و (رمع) رمعا و (رمع) ورمعانا و (أرمع) اصفر وتغير والسباع بأولادها ولدت والشيء انكب ومال

كذلك

." (١)

١٤٩. "همدان مثل يناعة وذي بين وما يسقيهما من ظاهر الصيد (١)، فيكون هذه المياه إلى ورور، ويلقاها سيل العقل والكساد وصولان (٢) وأكانط (٣) ومشام النخلة ووادي محصم، وما يسقط إليه من مدر (٤) وإتوة والخشب (٥) والميح وبلد ذبيان فيمر بالقحف وهران والمناحي (٦) ويلتقي بمياه الخارد التي هبطت من صنعاء ومخاليفها، فتلتقي بالمناحي ثم يصبان بعمران وتعمل (٧) من أرض الجوف، وهذا الجانب لبني نشق (٨)

وبني عبد بن عليان، وأما المناحي فلبني علوي.

الثانى ٧٠٧٢٤ وادى خبيش

والوادي الثاني: وادي خبش ويصب في موسط الجوف غربيه صادرا من خبش بعد ري نخيلها وزروعها وفروع هذا الوادي من سراة بلد وادعة (٩) وظاهرها، ويمر

---

(١) الصيد بالتحريك وهو قبيل وبلد من حاشد، وورور بفتح الواو وسكون ثانيه آخره راء وهو شعاب وواد مشهور وكثيرا ما تقع فيه كوارث ويقال ان في فوهة الوادي آثار سد لا تزال آثاره شاخصة.

(٢) العقل زنة العقل للرجل والكساد وصولان كلها أوطان من مرهبة الدعام عامرة بالسكن.

(٣) اكانط بفتح الهمزة آخره طاء هو اليوم يسمى كانط بحذف الهمز وهو رطن قائم العمارة معاند

---

(١) تهذيب كتاب الأفعال ١٤/٢

لقصور ناعط من الشرق وعداده من خارف ومشام النخلة يحمل اسمه الى ذا الحين وهو من ارحب ووادي محصم بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة آخره ميم بلد وواد من أرض أرحب ومن سكنه آل الأكوع الحواليين وفي البكري ج ٤ ١١٩٢في محصم بفتح أوله وأسكان ثانيه وكسر الصاد، المهملة بعده ميم: بلد باليمن معروف.

(٤) مدر بفتحتين آخره راء اكثر ديار همدان قصورا راجع الجزء الثامن من الإكليل قال أبو علكم المراني من قصيدته المشهورة:

وفي ريئام وفي النجدين من مدر ... على المنار وجف الشيد إيوانا

واتوة بكسر الهمزة وسكون التاء المثناة من فوق ثم واو وهاء جبل وفيه قرية وفيها استظهر أبو جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي على الهادي وأسر ابنه محمد المرتضى سنة ٢٩٠هـ راجع التاريخ وأثوة ومدر من ارحب.

(٥) الخشب زنة الخشب المعروف من الشجر يحتفظ باسمه الى هذه الغاية وهو من أرحب ويأتي ذكره للمؤلف وبلد ذيبان بفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من ثم باء موحدة آخره نون قبيل ووطن مشهور وهم من عتاة أرحب، والميح من أرحب.

(٦) القحف بفتح القاف وسكون الحاء المهملة آخر فاء وهو ما يسمى القحاف من ارحب وهران تقدم ضبطه ويقال له:

هران شوابة وهو مضيق بين ارحب وسفيان وحاشد وهو مفتاح طريق الجوف للسيارات، والمناحي من خارف ومن منتجاته العنب الأبيض الجيد.

(٧) عمران البون ضبطه الامام نشوان بفتح العين وضم الميم زنة فعلان ملك من ملوك حمير وهو ذو عمران بن ذي مرائد وبه سمي قصر عمران بالبون من أرض اليمن وكذا ضبطه البكري ولم يتكلما عن عمران الجوف والناس اليوم ينطقون به عمران بفتح أوله وسكون ثانيه وكذلك عمران الجوف وفي ياقوت ج ٤في عمران الجوف: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون وهو ضد الخراب موضع في بلاد مراد بالجوف كان فيه يوم من أيامهم. وورد ذكر عمران للجوف في خبر الوفود راجع تاريخنا وفيه قتل الشريف الفاضل سنة ٤٦٨قتلته نهم. وتعمل لعلها يعمون التي ذكرناها أيضا فلم تظهر هذه الكلمة.

(٨) نشق هي التي تسمى اليوم همدان الجوف وهي من الدول الحضارية راجع الجزء العاشر من الاكليل وعن عليان.

(٩) راجع نسب وادعة الجزء العاشر من الاكليل وهم من حاشد ولهم بقية وبنو معمر بضم الميم الأولى وكسر الثانية وهم ايضا من وادعة لهم بقية جمهرتهم في بلد حجة، وبنو عبد ود من حاشد وبنو عبد من بكيل، والهراثم من حاشد.." (١)

١٥٠. "همدان مثل يناعة وذي بين وما يسقيهما من ظاهر الصيد (١)، فيكون هذه المياه إلى ورور، ويلقاها سيل العقل والكساد وصولان (٢) وأكانط (٣) ومشام النخلة ووادي محصم، وما يسقط إليه من مدر (٤) وإتوة والخشب (٥) والميح وبلد ذيبان فيمر بالقحف وهران والمناحي (٦) ويلتقي بمياه الخارد التي هبطت من صنعاء ومخاليفها، فتلتقي بالمناحي ثم يصبان بعمران وتعمل (٧) من أرض الجوف، وهذا الجانب لبني نشق (٨) وبني عبد بن عليان، وأما المناحي فلبني علوي.

والوادي الثاني: وادي خبش ويصب في موسط الجوف غربيه صادرا من خبش بعد ري نخيلها وزروعها وفروع هذا الوادي من سراة بلد وادعة (٩) وظاهرها، ويمر

---

(١) الصيد بالتحريك وهو قبيل وبلد من حاشد، وورور بفتح الواو وسكون ثانيه آخره راء وهو شعاب وواد مشهور وكثيرا ما تقع فيه كوارث ويقال ان في فوهة الوادي آثار سد لا تزال آثاره شاخصة.

(٢) العقل زنة العقل للرجل والكساد وصولان كلها أوطان من مرهبة الدعام عامرة بالسكن.

(٣) اكانط بفتح الهمزة آخره طاء هو اليوم يسمى كانط بحذف الهمز وهو رطن قائم العمارة معاند لقصور ناعط من الشرق وعداده من خارف ومشام النخلة يحمل اسمه الى ذا الحين وهو من ارحب ووادي محصم بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة آخره ميم بلد وواد من أرض أرحب ومن سكنه آل الأكوع الحواليين وفي البكري ج ٤ . ١١٩٢ في محصم بفتح أوله وأسكان ثانيه وكسر الصاد، المهملة بعده ميم: بلد باليمن معروف.

(٤) مدر بفتحتين آخره راء اكثر ديار همدان قصورا راجع الجزء الثامن من الإكليل قال أبو علكم المراني من قصيدته المشهورة:

وفي ريئام وفي النجدين من مدر ... على المنار وجف الشيد إيوانا

واتوة بكسر الهمزة وسكون التاء المثناة من فوق ثم واو وهاء جبل وفيه قرية وفيها استظهر أبو جعفر

---

(١) صفة جزيرة العرب ط-أخرى الهمداني ص/١٦٥

أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي على الهادي وأسر ابنه محمد المرتضى سنة ٢٩٠ هراجع التاريخ وأثوة ومدر من ارحب.

(٥) الخشب زنة الخشب المعروف من الشجر يحتفظ باسمه الى هذه الغاية وهو من أرحب ويأتي ذكره للمؤلف وبلد ذيبان بفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من ثم باء موحدة آخره نون قبيل ووطن مشهور وهم من عتاة أرحب، والميح من أرحب.

(٦) القحف بفتح القاف وسكون الحاء المهملة آخر فاء وهو ما يسمى القحاف من ارحب وهران تقدم ضبطه ويقال له: هران شوابة وهو مضيق بين ارحب وسفيان وحاشد وهو مفتاح طريق الجوف للسيارات، والمناحي من خارف ومن منتجاته العنب الأبيض الجيد.

(٧) عمران البون ضبطه الامام نشوان بفتح العين وضم الميم زنة فعلان ملك من ملوك حمير وهو ذو عمران بن ذي مرائد وبه سمي قصر عمران بالبون من أرض اليمن وكذا ضبطه البكري ولم يتكلما عن عمران الجوف والناس اليوم ينطقون به عمران بفتح أوله وسكون ثانيه وكذلك عمران الجوف وفي ياقوت ج ٤ . في عمران الجوف: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون وهو ضد الخراب موضع في بلاد مراد بالجوف كان فيه يوم من أيامهم. وورد ذكر عمران للجوف في خبر الوفود راجع تاريخنا وفيه قتل الشريف الفاضل سنة ٤٦٨ قتلته نهم. وتعمل لعلها يعمون التي ذكرناها أيضا فلم تظهر هذه الكلمة.

(٨) نشق هي التي تسمى اليوم همدان الجوف وهي من الدول الحضارية راجع الجزء العاشر من الاكليل وعن عليان.

(٩) راجع نسب وادعة الجزء العاشر من الاكليل وهم من حاشد ولهم بقية وبنو معمر بضم الميم الأولى وكسر الثانية وهم ايضا من وادعة لهم بقية جمهرتهم في بلد حجة، وبنو عبد ود من حاشد وبنو عبد من بكيل، والهراثم من حاشد.." (١)

١٥١. "ما حل بهم حملوا بأجمعهم وتقدمت أصحاب الفيلة وعلى ظهورها الرجال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وصفت الصفوف وازدحمت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤوس وبطل القيل والقال وقتلت الرجال وزمجرت الابطال واشتد القتال واتسع المجال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن

---

(١) صفة جزيرة العرب ط-أخرى الهمداني ص/١٥٩

وثار العجاج وزمجرت الاعلاج وقاتلت أصحاب الفيلة قتالا شديدا وقد قسموهم أربع فرق فرقة مما يلي الميمنة وفرقة مما يلي الميسرة وفرقة مما يلي القلب وفرقة مما يلي العسكر وتصايحت النوبة والبجاوة والروم فلله در خالد بن الوليد لقد قاتل قتالا شديدا فكان تارة في القلب وتارة في الميمنة وتارة في الميسرة وكذلك الأمير عمرو بن العاص والزبير بن العوام والفضل بن العباس الهاشمي والقعقاع بن عمرو التميمي وغانم بن عياض الاشعري رضي الله عنهم على الساقة مع النساء والولدان والذراري والصبيان وانقطع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال إلى كردوس ينوف على ألف فارس من الروم والسودان فغاصوا في أوساطهم وكان فيهم بطريق من بطارقة الكورة اسمه عرنان بن ميخائيل فلما رأى ما حل به وبأصحابه بادر إلى الصليب ليقبله وينظر إليه ثم رطن الروم بلغتهم وأحاطوا بأصحاب رسلول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن يتمكنوا منهم فعندها وثب عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ذلك البطريق فحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء من فوق درعه وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها كوكب وفي وسطه منطقة من الجوهر فتعاركا مليا وتصادما سويا ثم أن عبد الرحمن ضربه بالسيف في نحره فأطاح رأسه عن بدنه فلما رأى الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن وأصحابه بأجمعهم حملة واحدة وصبر لهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهم مشتغل بنفسه عن نصرة صاحبه وايقنوا بالهلاك وخرج عبد الرحمن وفي يده جرح هائل والدم يسيل عن درعه فتناول السيف بيده اليسرى وجعل يقاتل بها وجرح هاشم بن المرقال أحد عشر جرحا في يده وفي وجهه وهو يمسح الدم مرارا فأيقنوا بالهلاك.

وكان الفضل بن العباس وبنو عمه ممن ذكرنا تارة في الميمنة وتارة في الميسرة وحملوا في اعراض القوم حتى وصلوا الكردوس الذي فيه عبد الرحمن وعبد الله بن عمر وهاشم بن المرقال فوجدوا الروم قد أحاطوا بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعقروا جواده من تحته وأصحابه يذبون عنه وعبد الله بن عمر تارة يمنع عنه بالسيف وتارة بالرمح وجراحاته تتدفق دما وقد جرح عبد الله بن عمر في يده ست جراحات هائلة فلما رأى الفضل ذلك بادر هو واصحابه وكانوا عشرين فارسا وخرقوا الصفوف وضرب فارسا ممن أحاط بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة ونزل إلى أضراسه." (١)

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢/٢٢٣

١٥٢.   "ابن مالك له صحبة وأبوه هو ملاعب الأسنة مختلف في صحبته.

من اسمه رتن.

[١٨٣٨] "رتن" الهندي وما أدراك مارتن شيخ دجال بلا ريب ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة والصحابة لا يكذبون وهذا جرئ على الله ورسوله وقد الفت في أمره جزأ وقد قيل أنه مات سنة اثنتين وثلاثين وست مائة ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من اسمج الكذب والمحال انتهى وقد وقفت على الجزء الذي جمعه الذهبي في أحواله بخطه وأوله بعد البسملة سبحانك هذا بهتان عظيم ذكر شيخ الشيوخ أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الكريم الحسيني الكاشغري ومن خطه نقلت قال حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار ومنبع الأنوار همام الدين السهركندي حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر خواجة رتن١ بن ساهوك بن جكندريق الهندي البترندي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت الريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة قال "ان المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت عنه الذنوب كما تناثر هذا الورق" وقال صلى الله عليه وآله وسلم "من أكرم غنيا لغناه أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين الا أن يتوب ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا وقال من مشط حاجبية كل ليلة وصلى علي لم ترمد عيناه أبدا" وذكر عدة أحاديث من هذا النمط ثم قال الكاشغري وحدثنا القدوة تاج الدين محمد بن أحمد الخراساني بطيبة سنة سبع وسبع مائة قال أما بعد فهذه أربعون حديثا ثنائيات٢ أنتخبتها مما سمعته من الشيخ حلال الدين أبي الفتح موسى بن مجلى بن سلاوج سلمه بالخانقاه السابقية بسمنان عن أبي الرضى رتن بن نصر صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١ رطن.

٢ ثنائيات رطنيات – إصابه.." (١)

١٥٣.   "٣١٣١ – رتن الهندي.

وما أدراك مارتن شيخ دجال بلا ريب ظهر بعد الستمئة فادعى الصحبة والصحابة لا يكذبون وهذا جريء على الله ورسوله وقد ألفت في أمره جزءا وقد قيل أنه مات سنة ٦٣٢.

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٢/٤٥٠

ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمج الكذب والمحال. انتهى.
وقد وقفت على الجزء الذي جمعه الذهبي في أحواله بخطه وأوله بعد البسملة سبحانك هذا بهتان عظيم ذكر شيخ الشيوخ أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الحسيني الكاشغري ومن خطه نقلت قال: حدثني الشيخ القدوة مهبط الأسرار ومنبع الأنوار همام الدين الشهركندي حدثني الشيخ المعمر بقية أصحاب سيد البشر خواجه رطن بن ساهوك بن جكندريق الهندي البترندي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة أيام الخريف فهبت الريح فتناثر الورق حتى لم يبق عليها ورقة قال: إن المؤمن إذا صلى الفريضة في الجماعة تناثرت عنه الذنوب كما تناثر هذا الورق.
وقال عليه الصلاة والسلام: من أكرم غنيا لغناه، أو أهان فقيرا لفقره لم يزل في لعنة الله أبد الآبدين إلا أن يتوب ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا. -[٤٥٨]-
وقال من مشط حاجبية كل ليلة وصلى علي لم ترمد عيناه أبدا.
وذكر عدة أحاديث من هذا النمط.
ثم قال الكاشغري: وحدثنا القدوة تاج الدين محمد بن أحمد الخراساني بطيبة سنة سبع وسبع مئة قال: أما بعد ، فهذه أربعون حديثا ثنائيات انتخبتها مما سمعته من الشيخ جلال الدين أبي الفتح موسى بن مجلى بن سلاوج سئل بالخانقاه بسمنان من الهند، عن أبي الرضا رتن بن نصر صاحب النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: ذرة من أعمال الباطن خير من الجبال الرواسي من أعمال الظاهر.
وقال: الفقير على فقره أغير من أحدكم على أهل بيته. ثم سرد الأربعين.
ومنها: وقال رتن: كنت في زفاف فاطمة على علي في جماعة من الصحابة وكان ثم من يغني فطابت قلوبنا ورقصنا فلما كان الغد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلتنا فأخبرناه فلم ينكر علينا ودعا لنا وقال: اخشوشنوا وامشوا حفاة تروا الله جهرة.
قال الذهبي: ووقفت على نسخة يرويها عبد الله بن محمد بن عبد العزيز السمرقندي حدثني صفوة الأولياء جلال الدين موسى بن مجلى بن بندار الدنيسري ، أخبرنا رتن بن نصر بن كربال الهندي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم وأخذ الرفق من السوقة والنسوان فإنه يبعد من الله.
وقال: لو أن ليهودي حاجة إلى أبي جهل وطلب مني قضاءها لترددت إلى باب أبي جهل مئة مرة في

قضائها.

وقال: شق العلم جوف العالم أحب إلى الله من شق جوف المجاهد في سبيل الله. -[٤٥٩]-

وقال: نقطة من دواة عالم على ثوبه أحب إلى الله من عرق مئة ثوب شهيد.

وقال: من رد جائعا وهو يقدر على أن يشبعه عذبه الله ولو كان نبيا مرسلا.

وقال: ما من عبد يبكي يوم قتل الحسين إلا كان يوم القيامة مع أولي العزم من الرسل.

وقال: البكاء في يوم عاشوراء نور تام يوم القيامة.

وقال: من أعان تارك الصلاة بلقمة فكأنما أعان على قتل الأنبياء كلهم.

فذكر نحوا من ثلاث مئة حديث وذكر أن في الجزء طبقة سماع للكاشغري على أبي عبد الله أحمد بن أبي المحاسن يعقوب بن إبراهيم الطيبي الأسدي بسماعه لها على موسى بن مجلى بخوارزم سنة خمس وستين.

قال الذهبي: فأظن أن هذه الخرافات من وضع موسى هذا إلى أن قال: وإسناد فيه الكاشغري والطيبي، وابن مجلى سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب ولو نسبت هذه الأخبار إلى بعض السلف لكان ينبغي أن ينزه عنها فضلا عن سيد البشر.

ثم ذكر أقل ما في عصره من الإسناد عددا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالرواة الثقات وأن المكذوب كالعدم.

ثم استطرد إلى ذكر غلاة الصوفية.

وقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي ثم إلى أهل الوحدة ومن يزعم منهم أنه عين الإله.

ثم قال: واعلموا أن همم الناس ودواعيهم متوفرة على نوادر الأخبار فأين كان هذا الهندي في هذه الستمئة سنة أما كان من قرب من بلده يتسامع به ويرحل إليه أين كان لما فتح محمود بن سبكتكين الهند في المئة الرابعة وقد صنفوا سيرته وفتوحه ولم يتعرض أحد من أهل ذلك العصر لذكر هذا الهندي. -[٤٦٠]-

ثم اتسعت الفتوح في الهند ولم يسمع له بذكر في الرابعة، ولا في بعدها بل تطاولت الأعمار بمرور الليالي والنهار إلى عام ستمئة ولم ينطق بذكره رسالة، ولا عرج على أحواله تاريخ، ولا نقل وجوده جوال، ولا رحال، ولا تاجر سفار ثم شبه من يصدقه بمن يصدق بوجود المهدي صاحب السرداب. انتهى.

ما أردت ذكره من جزء كسر وثن رتن ملخصا.

وقد وجدت قصته في تذكرة الصلاح الصفدي نقلا من تذكرة علاء الدين الوداعي أنبأنا غير واحد شفاها عن خليل بن أيبك الأديب قال: قرأت في تذكرة الوداعي (ح) وأخبرناه علي بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقي قدم علينا سنة ثمان وتسعين أخبرنا مشافهة عن الأديب علاء الدين علي بن مظفر الوداعي وهو آخر من حدث عنه قال: حدثنا جلال الدين محمد بن سليمان الكاتب بدمشق ، أخبرنا القاضي نور الدين علي بن محمد بن الحسين الخراساني قدم علينا سنة إحدى وسبعمئة بالقاهرة.

وأنبأنا غير واحد شفاها عن الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي قال: أخبرني القاضي معين الدين عبد المحسن بن القاضي جلال الدين عبد الله بن هشام سنة سبع وثلاثين وسبعمئة قال: أخبرني القاضي نور الدين قال: أخبرنا جدي الحسين بن محمد -[٤٦١]-

قال: كنت في زمن الصبا سافرت مع أبي وعمي وأنا ابن سبع عشرة سنة من خراسان إلى الهند في تجارة فوصلنا إلى ضيعة من أوائل الهند فعرج القفل نحوها فنزلوا فضج أهل القافلة فسألنا عن ذلك فقالوا: هذه ضيعة المعمر الشيخ رتن.

فرأينا بفناء الفرجة شجرة عظيمة وتحت ظلها جمع عظيم فتبادر أهل القافلة نحو الشجرة فتلقانا من تحتها فرأينا زنبيلا كبيرا معلقا في غصن من الشجرة فسألناهم عنها فقالوا: في هذا الزنبيل الشيخ رتن الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم ودعى له بطول العمر ست مرات فسألناهم أن ينزلوه لنسمع منه.

فتقدم شيخ منهم إلى الزنبيل فأنزله من بكرة فرأينا الشيخ في وسط القطن، وإذا هو كالفرخ فحسر عن وجهه ووضع فمه على أذنه وقال: يا جداه هؤلاء قوم قدموا من خراسان فيهم شرفاء من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك؟ فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية فقال: سافرت مع أبي وأنا شاب في تجارة إلى الحجاز ... فذكر قصة اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وأن السيل حال بينه وبين الإبل التي يرعاها وأنه حمله وخاض به إلى أن أوصله إلى إبله.

قال: فلما قضيت أربي من مكة رجعت إلى الهند وتطاولت المدة -[٤٦٢]-

فرأيت في ليلة من الليالي القمر قد انشق نصفين فغرب نصف بالشرق ونصف بالغرب فأظلم الليل ثم

عاد كل نصف إلى مكانه ثم التقيا فالتأما في وسط السماء كما كانا أول مرة فسألنا الركبان فقالوا: إن نبيا بعث بمكة فسأله أهلها معجزة فأراهم انشقاق القمر.

فتجهزت في تجارة وسافرت إلى مكة واجتمعت به فعرفني ولم أعرفه وبين يديه طبق رطب فقال: يا بابا ادن مني وكل المرافقة من المروءة والمفارقة من الزندقة فذكر قصة إسلامه ودعائه له بارك الله في عمرك وأعادها ست مرات.

قال: فاستجاب الله دعائه وبارك لي بكل مرة مئة سنة فأنا الآن ابن ست مئة سنة وزيادة وجميع من في هذه الضيعة أولادي وأحفادي ، انتهى ملخصا.

ثم ذكر الصفدي فصلا في تقوية قصة رتن والإنكار على من ينكرها ومعوله في ذلك الإمكان العقلي.

ورد عليه القاضي برهان الدين بن جماعة فيما قرأت بخطه في حاشية التذكرة بأن المعول في ذلك إنما هو النقل وليس كل ما يجوزه العقل يستلزم الوقوع والله أعلم.

وممن روى عنه ولم يذكره الذهبي زيد بن ميكائيل بن إسرافيل الخوزفوفلي حدث عنه في سنة ٦٨٢ قال: سمعت رتن بن مهادبو بن باسديو فذكر أحاديث موضوعة.

منها: من صلى الفجر في جماعة فكأنما حج خمسين حجة مع آدم ... فذكر خبرا ظاهر البطلان. -[٤٦٣]-

ومنها: من ترك العشاء قال له ربه: لست ربك فاطلب ربا سواي.

وذكر عبد الغفار القوصي في كتاب التوحيد له قال: حدثني الشيخ محمد العجمي قال: صحبت كمال الدين الشيرازي وكان قد أسن وبلغ مئة وستين سنة قال: صحبت رتن الهندي وقال لي: إنه حضر حفر الخندق.

قال عبد الغفار: وحدثني الشيخ عماد الدين بن السكري خطيب جامع الحاكم عن الشيخ إسماعيل الفارقي عن خواجه رتن الهندي ... فذكر حديثا موضوعا.

وقال الجلال محمد بن أحمد بن أمين الآقشهري في فوائده: ذكر أحمد بن علي بن عمران الصنعاني صاحبنا عن الفقيه الزاهد رفيع الدين عمر بن محمد بن أبي بكر السمرقندي من لفظه في مسجد غربي الجامع بصنعاء اليمن سنة ٦٨٤ أنه أخبره، عن أبي الفتح موسى بن علي بن جدار الدنيسري حدثني الشيخ الكبير أبو الرضا رتن بن نصر بن كربال البترندي ... فذكر الأحاديث.

وممن روى قصته رجل من إربل قدم مصر بعد السبعمئة يقال له: عثمان بن أبي بكر ابن الشيخ سعد

الإربلي ، أخبرنا الشيخ المعمر خواجه رتن بن ساهون بن جكندريق الهندي البترندي في شهر رجب سنة ٦٥٥ ببترنده وهو أول حديث سمعته منه وأخبرني أنه أول حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكر حديثا في فضل الجماعة وبعدها سبعين جزءا.

ومنها: قال رتن: كنت في زفاف فاطمة أنا وأكثر الصحابة وكان هناك من يغني شيئا فطابت قلوبنا ورقصنا بضربهم الدف وقولهم الشعر فلما كان الغداة سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلتنا فقلنا: كنا في زفاف فاطمة فدعا لنا ولم ينكر علينا. -[٤٦٤]-

وزعم غير هذا الإربلي أن هلاك رتن كان في سنة ٦٣٢ وهذا الإربلي يزعم أنه سمع منه في سنة ٦٥٥؟!.

وضبط (جكندريق) بفتح الجيم والكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء وسكون التحتانية المثناة بعدها قاف.

و (البترندي) بكسر الموحدة وسكون المثناة الفوقانية وفتح الراء وسكون النون بعدها دال مهملة.

وقد وقفت على طرق أخرى استوعبتها في ترجمته من كتاب الإصابة والله المستعان.." (١)

(١) لسان الميزان ت أبي غدة ابن حجر العسقلاني ٤٥٧/٣